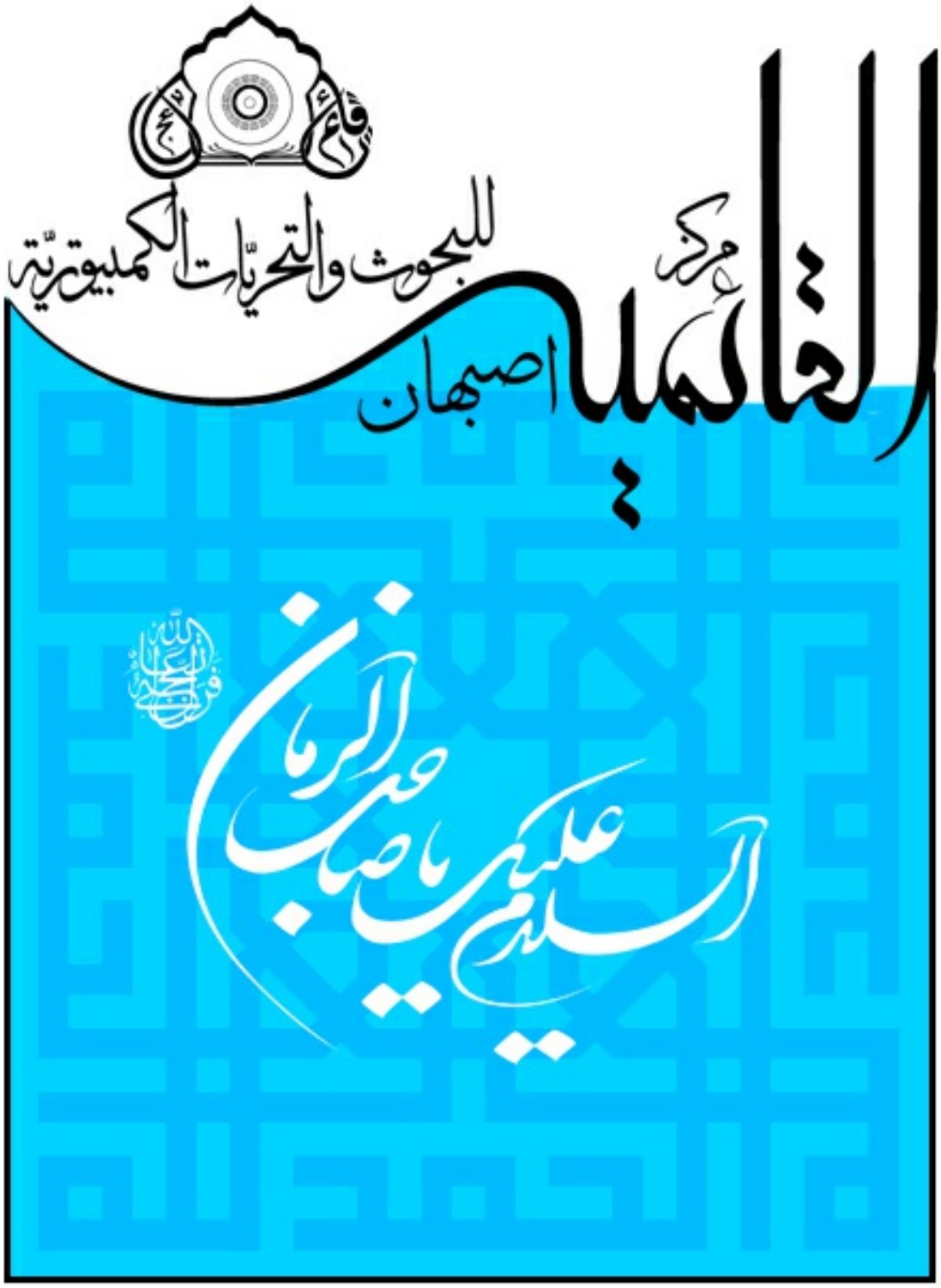

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

سلسلة الأركان الأربعة

١

أبو ذر الغفاري

تأليف

الشيخ محمد جواد آل الفقيه

دار الدار للطبوعات

بيروت

بسم الله الرحمن الرحیم

أبوذر الغفاري رمز اليقظة في الضمير الإنساني

كاتب:

محمد جواد آل الفقيه

نشرت في الطباعة:

موسسه الاعلمي للمطبوعات

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

أبوذر الغفاري رمز اليقظة في الضمير الإنساني 9

هوية الكتاب 9

اشارة 9

كلمة الناشر 15

تقديم : سماحة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الفقيه 17

مقدمة المؤلف 21

الفَصل الأوَّل 25

اشارة 25

صُورَة مُجْمَلة 27

الفَارِسُ الشّجَاع 33

تعَبُّدهُ قبلَ الإسلاَم 39

إسْلاَمه 40

معَ الرَسُول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) 46

في غزوة تبوك 51

التشيُّع ... مَا هُوَ ؟ 52

أبو ذَرّ وَالتّشيُّع 62

إقامتهُ في بِلاَد الشَّام 71

أبو ذرّ وَالتّشيُّع في جَبل عَامِل 80

اشارة 80

حدود الشام : 80

تحديد مدة اقامته في الشام 82

اشارة 82

ومجمل القول : 88

الفَصْل الثَّاني 91

اشارة 91

حُلمُ الأمَويّين 95

الإمَامَة 101

في السَّقيفَة 103

إثَارَة الفِتَن 105

رقَابَة المُسلِمين 109

فِقدَان الهيبَة في خِلافَة عُثمان 112

سيَاسَة عُثمان في إختيَار الوُلاة 115

اشارة 115

فمن هؤلاء الولاة : 115

1 – عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح : ولاّه عثمان على مصر. 115

2 – معاوية ابن أبي سفيان : 116

3 – الوليد بن عقبة : 116

4 – سعيد بن العاص : 117

5 – عبد اللّه بن عامر بن كريز : 117

سَياستهُ في المَال 118

اغداقه على الأمويين 119

تقريبه لذوي النفوذ والثراء 120

معَارضَة أبي ذرّ 123

مَوقف أبي ذَرّ مِن مُعاويَة 129

وَدَاع أهل الشّام لَه 133

الفَصل الثالِث 139

اشارة 139

من الشام إلى المدينة إلى الرّبذة 141
دخوله على عثمان 144
نفيه الى الربذة 148
كلام الامام (عليه السلام) لابي ذر 148
كلام عقيل 149
كلام الحسن (عليه السلام) 150
كلام الحسين (عليه السلام) 150
كلام عمّار بن ياسر 150
كلام ابي ذر (رضي اللّه عنه) 151
بين علي (عليه السلام) وعثمان 151
في الرّبذَة 153
كلامه (رضي اللّه عنه) على قبر ولده 155
بَين أبي ذَرّ وَحُذيفَة بن اليمَان 156
جواب حذيفة له 157
يَمشي وَحْدَهُ وَيمُوتُ وَحْدَه 159
المَأسَاة 161
الفَصْل الرّابع 169
اشارة 169
أبو ذَرّ عَلى لِسان النّبي الكَريم (صلى اللّه عليه وآله وسلم) 171
بَينَ النّبي وَأبي ذَرّ 173
أبو ذَرّ العَالِم 179
الزّاهد المتعبّد 181
من فضائله 183
مِن كَلاَمه 184
وَصفه لآخر الزمَان 187

الفصل الخَامِس 189
اشارة 189
وَصية النّبي الأعظم صلى اللّه عليه و آله لأبي ذَرّ الغفاري رضى اللّه عنه 191
مصادر الكتاب 213
الفهرس 217
تعريف مركز 220

أبوذر الغفاري رمز اليقظة في الضمير الإنساني

هوية الكتاب

المؤلف: الشيخ محمد جواد الفقيه

الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

الطبعة: 0

الموضوع : التراجم

تاريخ النشر : 1420 ه.ق

الصفحات: 207

نسخة مقروءة على النسخة المطبوعة

ص: 1

اشارة

سلسلة الأركان الأربعة

أبوذر الغفاري

رمز اليقظة في الضمير الإنساني

عرض وتحليل

تأليف: الشيخ محمد جواد آل الفقيه

قدم له

سماحة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الفقيه

منشورات

دارالفنون للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت – لبنان

ص. ب 7120

ص: 3

الصورة

ص: 5

بِسمِ اللّه الرّحمن الرّحيم

(ثُمَّ أَنتُم هَؤلاءِ تَقتلُون أنفُسَكُم وتُخرِجُونَ فَريقًا مِن دِيَارِهِم تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالعُدوَان (1) ..)

سورة البقرة – آية 85

ما أَظَلَّتِ الخَضـرآءِ ، وَلا أقَلَّتِ الغَبْراء مِن ذِي لَهجَةٍ ، أَصدَقُ مِن أبي ذَرّ. وَمَن سَرّهُ أن يَنْظُرَ إلى تَوَاضُعِ عِيْسَى بِن مَريَم ، فَلِيَنْظُرْ إلى أبي ذَر. (2)

الرسول الاعظم (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

وَاللّه إنيّ لأَرَى حَقّاً يُطفَى ، وَبَاطِلاً يُحيى وَصَادِقاً مُكذَّباً ، وإثرةً بِغَيْرِ تُقى ، وَصَالِحاً مُستأثِراً عَلَيه. (3)

أبو ذر الغفاري

1- قرأها ابن مسعود في خطبة له بمحفل من أهل الكوفة حين بلغه نفي أبي ذر عليه الرحمة.
2- الاستيعاب ، الاصابة ج 1 / ص 216.
3- شرح النهج ج 8 ص 256 – 257.

كلمة الناشر

بسمِ اللّهِ الرَّحمن الرَّحيم

الحمد لله رب العالمين ، وبعد :

فان من حسن توفيق (مؤسسة الأعلمي) أن قامت باخراج هذا السفر القيم الذي يتناول سيرة الصحابي الجليل (أبي ذر الغفاري رضى اللّه عنه).

كما حرصت كل الحرص على إخراجه بالشكل اللائق المناسب إيماناً منها بضرورة الإخلاص في العمل ، والتسهيل على القراء الكرام.

ولا تفوتنا هنا الإشارة الى أن هذا الكتاب هو الحلقة الأولى في سلسلة ذات أربع حلقات ، تتناول سيرة الأركان الأربعة (أبي ذر وعمار ، وسلمان والمقداد) والتي نأمل أن تنال إعجاب القراء.

هذا ، واننا نعلن بأننا قد عقدنا العزم على السير قدماً في مسيرتنا الثقافية هذه آملين من اللّه سبحانه مزيداً من التوفيق والتبريكات ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الناشر

تقديم : سماحة المرجع الديني الشيخ محمد تقي الفقيه

بسمِ اللّهِ الرَحمنِ الرَحِيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين ، الذين أدّوا الأمانة ، واجتنبوا الخيانة ، ونصحوا لله ورسوله وللمؤمنين ، فكانوا من خيرة أوصياء الأنبياء ، من أشدهم يقينا ، وأعظمهم صبرا ، وأكثرهم اجتهادا ، في حفظ ما ورثوه عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وصيانته من التحريف والتأويل والتبديل ، واتباع المتشابه من الكتاب العزيز ، ثم تحملوا من المصاعب والمتاعب ، ومقاساة الشدائد ما تحملوا ، في سبيل إيصاله الى العلماء الصالحين ، المحافظين ، الذين اختارهم اللّه سبحانه من خلقه ، لمشاركتهم في ذلك كله بعد غيبتهم ، فقاموا بالمهمة جهدهم ، فكان ذلك مصداقاً لقول رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : علماء أمتي كأنبياء بني اسرائيل ، أو أفضل من أنبياء بني اسرائيل. ولقوله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : مداد العلماء أفضل من دماء الشهداء. وقد صدق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وهو لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. فاننا كنا وما زلنا نلمس ونلمح في العلماء ، وفي آثارهم ، وفيما يحكى عنهم ، من الصبر والورع والتسديد ، ما يشهد بأنهم في صفوف هؤلاء الأنبياء.

وبعد : فقد كنت وما زلت ، أسأل اللّه سبحانه أن أكون وذريتي ، من

الذين يقتفون آثارهم ، ويترسمون خطاهم ، ويستعينون باللّه ، وبه يستنصرون ، لنفوز بالانضمام الى هذا الموكب المشرق الرفيع ، قولا وعملا ، وسمتاً ، وهدياً ، ولنتشرف بمحاولة حمل رسالتهم ، وفي فهمها ، وحفظها ، والعمل بها ، ونشرها.

وانني – بحمد لله سبحانه – ألمح آثار الاستجابة ، في نفسي ، وولدي ، وفي طليعتهم اليوم ثانيهم « ولدي الجواد » ويتجلى ذلك في كتبه الثلاثة : 1 – (الانسان بين الحياة والموت) 2 – (نظريات تتعلق بالكون والمبدأ) 3 – (أبو ذر) وهو الكتاب الذي بين يديك.

فقد أعطاه اللّه قلماً محبباً مفهماً ، قليل الفضول ، وهداه الى الأخذ بأوائل معالم الطريق ، فهو ممن يهتم في فهم الاسلام ، وفي تفهيمه لأهل هذا العصر بلغتهم ، ثم في عرض الشخصيات الاسلامية النبيلة ، التي ساهمت مع النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) مساهمة فعالة ، في نشر دعوته ، بالسير في سيرته ، في سلوكها ، وأقوالها ، وأفعالها ، فقد كانوا يجسدون الاسلام قولا وعملا ، فكانت أقوالهم حجة على الخاصة ، وأعمالهم دليلا وقدوة للعامة.

وكتاب (أبي ذر) الذي هو بين يديك ، يهدف فيه مؤلفه الى تجسيد العقيدة الاسلامية ، بعرض صور للذين اعتنقوا الاسلام وهو في مهده ، صور هي أقرب شيء لواقعهم باحاطة وأمانة ، وتفهم ، وإتقان ، على عكس ما فعله المؤلفون من قبله ، فانهم اذا تحدثوا عن واحد من أولئك ، تحدثوا عنه من جانب واحد ، يتصل بنفسياتهم ، أو بما يهدفون اليه. فمن كان يرغب في الزهد – سواء فهم معناه أو لم يفهمه – تحدث عن أبي ذر من هذه الناحية فقط ، ومن كانت ميوله ، انحرف بسيرة أبي ذر الى ما يتلائم مع ميوله.

وعلى مرور الوقت ، أصبح أبو ذر يظهر للقراء على شاشة العرض شخصية محدوده بحدود ضيقة جداً ، تجعله متعبدا غيورا على الاسلام ، جريئاً على الحكام ، جرأة تنسيه قوله تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ) .

هذا ، مع أن أبا ذر ، أحد أركان الاسلام في مهده ، وهو أول من شهر السيف في وجه المشركين ، حين كان يقطع الطريق على قوافل قريش ، فينفِّر بهم ، فكانت الإبل تلقي أحمالها ، فلا يدعهم يأخذون منها شيئا حتى يسلموا. وهو أيضا – أحد معتمدي النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، وأحد عظماء الصحابة ، وهو من حواريي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وحواريي أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ، وليس من المنطق أن يمر في مخيلة أي انسان عاقل ، أن محمداً ص وعلياً عليه السلام ، وهما من عظماء البشر ، رفعا أبا ذر الذي تُصوِّره كتب الذين كتبوا عنه.

وستراه في الكتاب الذي بين يديك انسانا آخر يرتفع عن عظماء الصحابة بالشجاعة ، والعلم والعمل ، وقوة الارادة والزهد ، والاخلاص ، والصبر ، والتحمل. ولو فسح لي الوقت مجالا لأوجزت ما أعرفه عنه ، وهو بعض ما استطعنا أن نصل اليه أثناء مطالعتنا ، ولو تم لي ذلك ، لأريتك أبا ذر انساناً يسير في ركب الأنبياء ، يتمتع بكياسة وقوة ، وعزة ، وجرأة ، ونزاهة.

وفق اللّه المؤمنين للاقتباس من أنواره وآرائه ، وحشرنا واياهم ، يوم القيامة تحت لوائه ، والسلام عليه ، وعليهم ، ورحمة اللّه وبركاته.

مقدمة المؤلف

بِسمِ اللَّهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

حينما نعمد الى دراسة شخصية تأريخية – أياً كانت – تطالعنا صور ومشاهد ، تضفي علينا مزيداً من الوضوح في البحث عن الجوانب الهامة المحيطة بها.

وأول شيء يواجهنا في هذا المضمار ، هو « السيرة » ولكن لا فائدة ولا جدوى منها بدون دراسة وتحليل. إذ أنها وحدها هيكل شاخص لا روح فيه ، فهي لا تتجاوز أن تكون كلمات مرسومة على الورق ، بمستطاع كل قارئ أن يقرأها ، ويتندَّر بها أمام أقرانه وزملائه ، كأي قصة تأريخية مثيرة ، من دون أن تترك في نفس القارئ أو السامع أي أثر نافع مفيد. سوى أنفعالات نفسية آنيَّة.

ولكن ، حينما يصل الحديث الى عظماء الصحابة ، واستجلاء سيرتهم ، نجد أنفسنا أمام مدرسة مثالية ، غنية بالعطائين ، الفكري والروحي ، ومليئة بالعظات والعبر. ونلمس في سلوكهم وأفعالهم ، مع أنفسهم ومحيطهم ، تجسيداً كاملا للمبدأ الذي دعوا اليه وكافحوا من أجله. كما نجد ان كلمتهم ، كانت الكلمة المسؤولة ، وحياتهم كانت كلها مواقف خالدة خلود الروح ، وباقية بقاء الإنسان.

إن هذا النمط من العظماء ، يخضع لمراحل صعبة على محكِّ الإختبار

تجعلهم بمستوى المسؤوليات التي أنيطت بهم ، تلك المسؤوليات الهامة والصعبة التي تتعدى مرحلة الذات الى مستوى أمانة وممثلية لمواجهة الناس على اختلاف أهوائهم ، وألوانهم ، ومراتبهم.

وتتعدى مرحلة الوقت والجيل ، الى عصور وأجيال.

ونحن بدورنا نراهم يجتازون مراحل الإختبار هذه ، بصبر عجيب ، وصمود محيِّر ، حتى ولو أدى الأمر بهم الى النفي أو الى الموت.

ومن هذا النمط النادر – في الإسلام – الأركان الأربعة ، وهم : « أبو ذر الغفاري ، وسلمان الفارسي ، والمقداد بن الأسود ، وعمار بن ياسر ».

لقد عرف هؤلاء الأربعة ، بأنهم أول من نادى بالتشيع لعلي عليه السلام والولاية له بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، لقد نادوا بذلك على أنه من صميم الاسلام. فكانوا المثل الأعلى للثبات على هذه العقيدة ، والدفاع عنها. وبذلك استحقوا هذا الوسام « الأركان الأربعة ».

وأبو ذر الغفاري رضى اللّه عنه – موضوع كتابنا هذا – واحد من هؤلاء ، دفعني الى إختياره فعلا ، أمران مهمان :

الأول : ما لهذه الشخصية من الأثر الديني الكبير في حياتنا الدينية والذي يتصل بحياته ، ومقدمه الى الشام ، وسكناه في منطقة (جبل عامل) مدة طويلة من الزمن ، أتاحت له الفرصة في نشر التشيع (لمذهب أهل البيت). فالمشهور بين سكان هذه المنطقة أن أبا ذر هو صاحب الفضل في ذلك.

الثاني : ان الـذين تناولوا شخصـية أبي ذر لـم يعطوه القـدر الكافي من الإحاطـة ، فقـد لاحظت من خلال قراءاتي لبعض ما كتب حول هذا الموضوع ، أن بعضـهم يحاول التركيز على الناحيـة القصصـية ، والبعض الآخر على الناحيـة « الثورية » في مسـلك هذا الرجل ، والبعض الآخر يجهد في إخراجه بصورة « المتصوف الراهب » ، وآخر يعطيه صفة « الحاقد على الإغنياء » الى غير ذلك من الأوصاف التي تتناسب مع رغبة الكاتب وتفكيره ، ولا تتلائم مع شخصية أبي ذر المسلم الصحابي الجليل.

فأبو ذر لا يعدو كونه من أجِّلاء الصحابة وخيرتهم ، وجدير بمثله أن يكون عنواناً واضحاً للاسلام.

لـذا فانني بـذلت كامل جهدي في إلقاء الضوء على هذه الشخصـية التأريخية المميزة ، محاولا بذلك الكشف عن جميع جوانبها ، دون أن أترك شيئاً مما يتعلق بها ، عدا بعض النصوص الزائدة التي لا جدوى من إثباتها ، وعدا ما يفوتني سهواً ، والعصمة لأهلها.

وسـيكون هـذا الكتاب هو الحلقـة الأولى في سلسـلة تتناول حياة « الأركان الأربعـة » وسـيرتهم ، آملين من وراء ذلك ، رضا اللّه وحـده ، سبحانه وتعالى. والوقوف على شـيء ، من حياة هؤلاء الصـفوة – من الخالدين – في تأريخنا الإسـلامي المجيد ، علنا نسـتمد من سـيرتهم مزيداً من الصبر ، والثبات ، في دربنا الطويل. واللّه الموفق.

محمد جواد الفقيه

14 ربيع الثاني / 1400 ه

2 / 3 / 1980 م

بسم اللّه الرحمن الرحيم

لكي نفهم جوهر حركـة أبي ذر الغفاري يجب أن نفهم جوهر الاسـلام ، وبقدر ما نفهم الاسـلام واهدافه وما قصد اليه من أسـعاد البشـرية والنهوض بها الى أعلى مستويات الكرامة والعزة – بقدر ما نفهم الاسلام يمكن ان نفهم ابا ذر واهدافه.

فالاسـلام الذي أنشأ في الجزيرة العربية حكماً هو أولاً حكم الشـعب ، ثم هو حكم الكفاءة والعدالة والمساواة والاخوة ، ثم هو حكم ازالة الفروق الاقتصادية الظالمة واتاحة العيش الكريم لكل مواطن ، ومنع تجمع الثروات وتكدسها في ايد محدودة.

والاسلام الذي قلب اوضاع المجتمع رأساً على عقب واصبحت الكفاءة وحدها هي المؤهلة ، والفرصة متاحة لكل مواطن ان يتقدم ويبرز.

هذا الاسـلام وجد نفسه فجأة محكوما لاسـرة كانت هي اقسى من حاربه وأشد من قاومه ، اسرة لم تسلم حتى اعياها القتال ، وعجزت عنه ، واكتسـحتها الدعوة فاستسلمت لها وبقيت تتربص وتتحين الفرص لتثب من جديد. ولما جاءت الفرصة سيطرت على الاسلام وحكمه بكل احقادها على الاسلام وبكل نقمتها على المسلمين. فاذا بنا امام انقلاب صريح على كل النظم الاسلامية حققت فيه هذه الاسرة اهدافها في تحويل مسـيرة الاسـلام. فاذا بنا نبصـر خمس غنائم افريقيا يوهب لرجل واحد ، بينما فقراء المسـلمين وضعفاؤهم يعانون الحرمان. واذا ما لدى افراد معينين من المسلمين ضخور من الذهب تحتاج الى الفؤوس لتقطيعها.

هذا الانقلاب اذهل المخلصـين من المسـلمين وكان في طليعتهم ابو ذر الغفاري الذي صمم على الدعوة الى الرجوع بالاسلام الى اصوله الاولى التي تحمي الفقير وتقي المحروم ، وتسود بها العدالة الاجتماعية بين الناس جميعهم.

وكان يعلم وعورة الطريق امامه ، ويـدرك ما ينتظره من شدائـد فلم يبال بذلك وصـمم على الجهر بالدعوة جهرا لا هوادة فيه ، محاولا ايقاظ الشعب وزجر الحكام حتى آل الى المصير الذي يطالعه القارئ في صفحات هذا الكتاب.

ولقـد أحسـنت دار الفنون حين جعلت باكورة كتبها كتابا عن ابي ذر ، فهي بـذلك تحيي ذكرى هذا الصـحابي الجليل ، والمجاهد النبيل ، وتسهل للقارئ الاطلاع على سيرة رجل يصلح لان يكون قدوة الرجال في نهضات الشعوب ووثبات الامم.

حسن الأمين

الفَصل الأوَّل

اشارة

* صورَة مُجمَلة

* الفَارِسُ الشّجاع

* تعَبُّدهُ قبلَ الإسلام

* إسلاَمه

* معَ الرّسُول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

* التشيُّع .. مَا هُوَ ؟

* أبو ذَرّ وَالتّشيُّع

* إقامتهُ في بِلاَد الشَّام

* أبو ذرّ والتّشيَّع في جَبل عَامِل

ص: 17

صُورَة مُجْمَلة

أبو ذر الغفاري : جُندب بن جَنادة. (1)

رمز اليقظة في الضمير الانساني المتعب ، كما هو في الضمير الاسلامي.

أتمثله شيخاً حاني الظهر ، ترتسم على وجهه سيماء الأولياء والصالحين ، وفي عينيه ألق ظل مشعاً بالأمل والحياة على هاتيك الفئات المظلومة من الناس.

أتمثله ، وهو ينهب الأرض بقدميه ، في رحلته التأريخية الثأرية ، حاملاً على ظهره هموم المظلومين والمعذبين ، وعلى لسانه تتجسد صرختهم.

فهو هكذا أراد ، أراد أن يخرج عن حدود الزمان والمكان ، ويرقى قمة الحرية .. حرية الكلمة ، وحرية التعبير ، فكان منبر الاسلام في فترة من فترات الحكم.

1- على الاصح الاشهر. وقيل اسمه : برير بن جنادة ، وقيل جندب بن سكن وقيل السكن بن جنادة ولكن المشهور المتسالم عليه هو جندب ابن جنادة ، ولا يعرف في كتب التراجم بغير هذا الاسم.

لقد بايع أبو ذر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، على أن لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، وعلى أن يقول الحق ، ولو كان مُرًّا (1).

فالتزم ببيعته. فكان جريئاً في جنب اللّه آخر عمره ، كما كان في أول أمره.

ولعل أجرأ نداء صريح في مسمع حاكم ظالم ، كان نداء أبي ذر (رضي اللّه عنه) على أبواب الخضراء .. « أتتكم القطار بحمل النار ! اللّهم إلعن الآمرين بالمعروف التاركين له. اللّهم العن الناهين عن المنكر ، المرتكبين له » (2).

هذا هو أبو ذر ، صاحب الكلمة الجريئة ، التي لا تعرف المداهنة ، ولا الرياء ولا الوجل.

خاطب معاوية ذات مرة ، مجيباً إياه : « ما أنا بعدو لله ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله ، أظهرتما الاسلام ، وأبطنتما الكفر ، ولقد لعنك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ودعا عليك مرات أن لا تشبع.

فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل.

فقال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ! أخبرني بذلك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وسمعته يقول ، وقد مررتَ به : اللّهم إلعنه ، ولا تشبعه إلا بالتراب .. » (3).

وخُيِّل لجلاديه الحاكمين ، أن غضبه إنما كان لنفسه. وأنه ربما كان عن فاقة ألمّت به ، أو مطمع يدفعه الى ذلك. فساوموه رجاء أن يسكت أو يكف ، لكنهم وجدوا خلاف ما كانوا يتوقعون.

1- أعيان الشيعة / 16 / 319 نقلا عن أسد الغابة.

2- شرح النهج ج 8 / 257.

3- شرح النهج 8 / 257.

بعث اليه معاوية بثلاثمائة دينار ، فقال : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ، قبلتها. وان كانت صلة ، فلا حاجة لي فيها » (1).

وقال له – ذات مرة – حبيب بن مسلمة أحد القادة : « لك عندي يا أبا ذر ، ألف درهم ، وخادم ، وخمسمائة شاة.

قال أبو ذر : إعطِ خادمك ، وألفَكَ ، وشويهاتِكَ ، من هو أحوج الى ذلك مني ! فاني إنما أسأل حقي في كتاب اللّه .. ! » (2).

بهـذه الصـراحة ، وبهـذا الوضوح يرسم لنا أبو ذر بعض مواقفه ، إنه لـم يكن ليثأر ، ويغضب لنفسه ، بل للحق الـذي طالب بتثبيته ، وبـذلك جعل من نفسه رمزاً يدفع بالمقهورين والمظلومين الى المطالبة بحقوقهم ، وعرض ظلاماتهم. فكان في تصـرفاته تلك رائدا من رواد الحق ، يجازف بنفسه من أجل الآخرين.

وما أغناه عن أن يقاسي ما قاسى ، لو أراد.

لقد كان بوسعه أن يعيش حياة الرفاهية والترف ، شأن بعض الصحابة ممن هم دونه في الفضل بمراتب. لو أراد.

ولكن في هذه النقطة تكمن احدى الفوارق ما بين الانسان الرسالي ، والانسان العادي.

بين الانسان الذي يحمل هموم ومستقبل أمة بأسرها ، وبين انسان ينشغل بنفسه ولهوه ، متخماً يتجشأ على موائد الترف !

1- الغدير 8 / 293.

2- اعيان الشيعة 16 / 364 عن أمالي الطوسي.

نعم. كـان أبو ذر انسانـاً رساليـاً ، ولـم يكن انسانـاً عاديـاً. وكـان في بعض مواقفه يمثل مواقف أمير المؤمنين علي عليه السـلام . ولا غرو ولا عجب ، فهو تلميذ الإمام وواحد من أكثر الناس إخلاصاً له.

قال أمير المؤمنين عليه السلام :

« ولو شِئتُ لاهتـديتُ الطريق الى مُصـفى هـذا العسلِ ، ولُبابِ هـذا القمح ، ونَسائجِ هذا القزِّ ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جَشعي الى تخيُّرِ الأطعمة ، ولعلَّ بالحجاز أو اليمامة ، من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ، أوَ أبيت مبطاناً ، وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرَّى ، أوَ أكونُ كما قال القائل :

وحسبك داء أن تبيت ببطنة

وحولك أكباد تحِنُّ الى القدِّ (1)

لقـد كان أمير المؤمنين علي عليه السـلام ، يقول هـذا ، ومقـدرات الأمـة تحت قبضة يده ، بل المعروف أن صدقاته الخاصة وحدها كانت تساوي آلاف الدنانير ذهباً.

نعم. كـان يقول هـذا – ويعمـل بما يقول مع نفسه – ليلفت أنظار المسـلمين الى ضـرورة تفقـد الضـعفاء ، والمقهورين ، والمـدفوعين عن حقوقهم ، ويلفت انظار الولاة الى الرفق بالرعية وتفقد أحوالهم.

وكان أبو ذر – تلميذ الإمام – ممن سار على هذا الهدي ، فقد كان عطاؤه السنوي اربعماية ديناراً ذهباً. ومع هذا فانه كان لا يدخر منها

1– نهج البلاغة 3 / 71/ 72 (الجشع – الحرص – البطنة – الاشـر – والبطر). القد : سير من جلد غير مدبوغ ، والمعنى ان بعضهم يطلب أكله فلا يجده.

شيئاً. وكان يندد بالكانزين للذهب والفضة الذين لا يخرجون الزكاة الواجبة منها ، أو الذين أخذوها من طرق غير مشروعة أيام عثمان. وكان يطلب حقه (في كتاب اللّه) كما تقدم. ويرفض الألف درهم ، والعبد والخمسماية شاة.

أجـل. انه لـم يكن ليفعل هـذا عن فاقـة ، أو مطمع ، بل كان يريـد إلفات المسؤولين – في حينه – الى انصاف المظلومين ، وايصال كل ذي حق الى حقه.

وأعيت الحيلـة غرماءه الحاكمين في إسـكاته ، فعمـدوا الى طريقـة ثانيـة قرروا فيها إسـكاته ، وكانت طريقة ناجحة – في نظرهم – فنفوه الى الربذة.

حمل من الشام الى المدينة على مركب وعر ، حتى تسلخ فخذاه ، ثم بعد ذلك ، نفي الى الربذة (1) بعيداً عن مهاجر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، ومواطن الايمان ، حتى توفي غريباً هناك !

رحم اللّه أبا ذر ، لقد كان ينسى كل جراحه وآلامه في رحلته الثأرية تلك ، ليكتب على رمال الصحراء ملحمته الخالدة.

ملحمته التي ستبقى مع الشمس تشرق ، ولكنها لا تغيب !!

1- الربذة : موضع على بعد ثلاثة ايام من المدينة ... معجم البلدان 3 / 24.

ص: 25

الفَارِسُ الشّجَاع

الشجاعة أو الجرأة. موهبة يتمتع بها غالب عظماء الانسانية ، فهي لا تقبل التكلُّفَ ولا تستقيم معها محاكاة. وهي ايضاً صفة كريمة تميَّز بها العرب بصورة عامة ، والمسلمون بصورة خاصة.

فالعربي بطبعه – غالباً – شـجاع غير هياب ، يتقحم موارد الهلكة ، إن رأى في ذلك ما يرضي مزاجه ، حتى ولو كانت الخسارة عنده أكبر في ميزان الاحتمال. ولعل هذه الخصلة الكريمة ، هي احدى معطيات الطبيعة الصحراوية ، وما فرضته من خشونة العيش على هذا الانسان.

فالمعروف عن العرب القدامى ، أن ظروفهم المعاشـية كانت صـعبة للغاية ، فكانت جلُّ حياتهم الاقتصادية تقوم على الغزو أو السـلب ، أو طَرق الاحياء أو ما شابه ذلك ، مما كان متسالم عليه لـديهم آنـذاك (1) ، ولا يرون فيه أي إخلال بالشـرف أو المكانـة الاجتماعية ، بل على العكس من ذلك ، فقـد كان هـذا العمل يكسب القائم به رفعـة وسؤدداً في قبيلته وبني قومه. فكان المغيرون على الأحياء يتفاخرون بذلك. وينشدون فيه الأشعار.

1- وكانت التجارة احدى الدعامات الاقتصادية الهامة ، لكن يبدو انها كانت مختصة بطبقة معينة من أصحاب السيادة.

قال طفيل الغنوي :

وغارة كجراد الريح زعزعها *** مخراق حرب كنصل السيف بهلول (1)

وهم يرون في ذلك ردءاً لهم من الغارات التي يمكن أن تشنها عليهم القبائل الأخرى ، كما يرون في ذلك إظهارا لشجاعتهم وقوتهم حتى لا يفكر الآخرون بغزوهم.

قال المثقب العبدي :

ونحمي على الثغر المخوف ويتقى *** بغارتنا كيدّ العدى وضَيومُها (2)

وقال الآخر :

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه *** يُهدَّم ومن لم يظلم الناس يُظلَم

والمسلم الحقيقي شجاع ايضا بمقتضى تركيبته الذهنية الخاصة التي صقلها الاسلام ، وروحه الرسالية المستمدة منه. فهو لا يعرف معنى الخوف من الموت – في اللّه – لأنه مؤمن بسلامة المصير ، فلا يرى غير الجنة أعدت للمتقين في الآخرة. ومتى كان الامر كذلك ، يهون عليه كل شيء في سبيل ذلك حتى نفسه. وتأريخنا الاسلامي حافل بالبطولات والتضحية كما هو بيِّن وواضح لدى كل من يتتبعه.

وصاحبنا أبو ذر رضى اللّه عنه ، الذي هو موضوع بحثنا الآن ، كان ممن اتسم بأعلى معاني البطولة والشجاعة ، في الجاهلية ، وفي الاسلام.

1- شعر الحرب في العصر الجاهلي 80 و 462 (البهلول : السيد الجامع لكل خير) و (المخراق : الرجل الحسن الجسيم المتصرف بالامور الذي لا يقع في أمر الا خرج منه).

2- شعر الحرب في العصر الجاهلي 80 و 462 (البهلول : السيد الجامع لكل خير) و (المخراق : الرجل الحسن الجسيم المتصرف بالامور الذي لا يقع في أمر الا خرج منه).

ففي الجاهلية كان شجاعاً بطبعه ، بل في طليعة الشجعان المغامرين ، فالمعروف عنه أنه كان فارس ليل ، لا يعرف معنى الخوف ولا الوجل ، يغير على الحي ، وعلى القوافل ، فيصيب منها ، ثم يرجع الى مقره.

روى بن سعد في الطبقات ، بسنده :

كان أبو ذر رجلا يصيب الطريق ، وكان شجاعاً يتفرد وحده بقطع الطريق ، ويغير على الصرم (1) في عماية الصبح على ظهر فرسه ، أو على قدميه ، كأنه السبع ، فيطرق الحي ويأخذ ما أخذ. ثم إن اللّه قذف في قلبه الاسلام (2).

وهـذه الروايـة لا تنافي كونه كان متعبداً قبل الاسـلام ، يتألّه ويعبد اللّه وحده ، فمما لا يخفى على الباحث والمطلع ، أن هناك أموراً كانت سائـدة لدى العرب في الجاهلية وكانوا متسالمين على أكثرها فأقرَّ الاسـلام بعضـها ، ونهى عن بعضـها الآخر ، فكان من جملة ما نهى عنه الاسـلام هـذه الخصـال الذميمـة وهي قطع الطرق ، والإغارة على الناس في مآمنهم. فانتهى عنها المسـلمون. ولا مانع من أن يكون أبو ذر متعبداً قبل الاسـلام بسـنوات ، ويفعل بعض هذه الاعمال ، ثم انتهى عنها حين نهى الاسلام عنها ! إنه لا مانع من ذلك قط ، ولا يُخلُّ هذا بشرفه ومكانته. هذا ، اذا لم نقل بأنه كان يفعل ذلك مع الفئات والقبائل التي تعبد الأصنام ، استحلالا منه لذلك. فمن يدري ؟

وحين اسلم أبو ذر ، زاده الاسلام شجاعة الى شجاعته ، ومنحه زخماً

1- الصَّرم : الفرقة من الناس ليس بالكثير.

2- أعيان الشيعة 16 / 320.

لا تدرك حدوده ، فكان من فرسان الاسلام وأبطالهم ، من أول يوم. فقد قال للنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) :

يا رسول اللّه ، اني منصرف الى أهلي ، وناظر متى يؤمر بالقتال ، فألحق بك ، فاني أرى قومك عليك جميعاً !

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : أصبت.

فانصرف ، فكان يكون بأسفل ثنية غزال (1) فكان يعترض لعيرات قريش ، فيقتطعها فيقول : لا أرُدّ لكم منها شيئاً حتى تشهدوا أن لا إله إلا اللّه ، وان محمداً رسول اللّه. !

فان فعلوا ، ردَّ ما أخذ منهم ، وان أبوا ، لم يرد عليهم شيئاً ، فكان على ذلك ، حتى هاجر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ومضى بدر ، وأحد ، ثم قدم فأقام بالمدينة مع النبي صلى اللّه عليه و آله (2).

1- ثنية غزال موضع بين مكة والمدينة.

2- أعيان الشيعة 16 / 321 عن الطبقات الكبرى لابن سعد.

تعَبُّدهُ قبلَ الإسلاَم

قال عبد اللّه بن الصامت ، قال أبو ذر :

« وقد صليت – يا ابن أخي – قبل أن ألقى رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بثلاث سنين.

قلت : لمن ؟

قال : لله.

قلت : فأين توجَّه ؟

قال : أتوجه حيث يوجهني ربي ، أصلي عشاء ، حتى اذا كان من آخر الليل ، أُلقيت ، كأني خِفَاء * (1) حتى تعلوني الشمس (2). وكان أكثر عبادته التفكر والاعتبار (3).

وفي الطبقات الكبرى لابن سعد : كان أبو ذر يتأله في الجاهلية ، ويقول لا إله إلا اللّه ، ولا يعبد الأصنام. فمرَّ عليه رجل من أهل مكة – بعدما أوحي الى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) – فقال : يا أبا ذر ! إن رجلا بمكة يقول مثل ما تقول لا إله إلا اللّه ، ويزعم انه نبي (4) ..

1– * الخفاء – الكساء الذي يغطَّى به السَّقاء.

2– صحيح مسلم – 4 – ص 1920 ب 28 – فضائل الصحابة.

3– الخصال ص 42.

4– الغدير 8 / 308.

حين تناهى الى سمع أبي ذر ، نبأ ظهور النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في مكة ودعوته الناس الى الاسلام عقد العزم على اللقاء به ، والاستماع منه. لكنه فضل بادئ الأمر أن يرسل أخاه - أنيساً - (1) ليحمل اليه بعض أخباره ، فقال له :

1- ومن غريب ما ورد في خبر اسلامه أيضاً : أن ذئبا عدى على غنم له من جانب ، فنجش عليه أبو ذر بعصاه ، فتحول الى الجانب الآخر ، فنجش عليه ، فقال : مارأيت ذئبا أخبث منك ؟ فأنطق اللّه الذئب فقال : أشر مني أهل مكة ! بعث اللّه اليهم نبيا ، فكذبوه وشتموه. فخرج ابو ذر من أهله يريد مكة .. الخ .. هكذا ورد في كتاب الواعظ م ٢ ص ١٤٦. وهذه الرواية . اذا صحت . فهي معجزة للنبي محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وقد ذكر الدميري في كتاب الحيوان ١ ص ٣٦٢ قريبا من ذلك بدون أن يذكر الاسم . قال : عن ابي سعيد الخدري : بينما راع يرعى بالحرة ، اذ عدا الذئب على شاة ، فحال الراعي بينه وبينها ، فأقعى الذئب على ذنبه ، وقال : يا عبد اللّه ، تحول بيني وبين رزق ساقه اللّه الي ؟ فقال الرجل : واعجبا ! ذئب يكلمني ؟ فقال الذئب : آلا اخبرك بأعجب مني ، هذا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بين الحرتين يخبر الناس بأنباء ما قد سبق! فزوى الراعي شياهه الى زاوية المدينة ، ثم أتى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فأخبره ، فخرج رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فقال : صدق والذي نفسي بيده. (ثم قال) : قال ابن عبد البر : وغيره كلم الذئب من الصحابة ثلاثة : رافع بن عميرة ، وسلمة بن الأكوع ، وأهبان بن أوس الأسلمي ، قال : ولذلك تقول العرب : هو كذئب أهبان يتعجبون منه. وذلك ، ان أهبان بن أوس المذكور كان في غنم له ، فشد الذئب على شاة منها ، فصاح به أهبان ، فأقعى الذئب ، وقال : أتنزع مني رزقا رزقنيه اللّه ؟! فقال أهبان : ما سمعت ولا رأيت اعجب من ، هذا ، ذئب يتكلم ؟ فقال الذئب : أنعجب من هذا ، ورسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بين هذه النخلات ، وأومأ بيده الى المدينة يحدث بما كان وبما يكون ، ويدعو الناس الى اللّه والى عبادته وهم لا يجيبونه .. الخ.

« اركب الى هذا الوادي ، واعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم انه يأتيه الخبر من السماء ! واسمع من قوله ، ثم إئتني.

انطلق أنيس ، حتى قدم مكة ، وسمع من قوله.

ثم رجع الى أبي ذر ، فقال : رأيته يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويأمر بمكارم الأخلاق ، وسمعت منه كلاماً ، ما هو بالشعر !

فقال له أبو ذر : ما شفيتني فيما أردتُ.

فتزود وحمل شـنَّة له فيها ماء ، حتى قدم مكة. فأتى المسـجد ، فالتمس النبي (صـلى اللّه عليه وآله وسلم) و (هو) لا يعرفه ، وكره أن يسأل عنه ، حتى أدركه الليل ، فاضطجع. فرآه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : كأن الرجل غريب.

قال : نعم.

قال : انطلق الى المنزل.

قال أبو ذر : فانطلقت معه ، لا يسألني عن شيء ولا أسأله. فلما

أصبحت من الغد ، رجعت الى المسجد ، فبقيت يومي حتى أمسيت ، وسرت الى مضجعي. فمر بي عليّ ، فقال : أما آن للرجل أن يعرف منزله ؟

فأقامه ، وذهب به معه ، وما يسأل واحد منهما صاحبه.

حتى اذا كان اليوم الثالث ، فعل مثل ذلك ، فأقامه عليّ معه.

ثم قال له علي (عليه السلام) : ألا تحدثني ما الذي اقدمك هذا البلد ؟

قال : إن اعطيتني عهداً وميثاقاً لترشدني. فعلت. ففعل.

فأخبره علي (عليه السلام) عنه أنه نبي ، وأن ما جاء به حق ، وأنه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم). ثم قال له : فاذا اصبحت ، فاتبعني ، فاني إن رأيت شيئاً أخاف عليك ، قمت كأني أريق الماء ، فان مضيت ، فاتبعني حتى تدخل معي مدخلي.

قال : فانطلقت أقفوه ، حتى دخل على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ودخلت معه ، وحييت رسول اللّه بتحية الاسلام ، فقلت : السلام عليك يا رسول اللّه – وكنت أول من حياه بتحية الاسلام –

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : وعليك السلام. من أنت ؟

قلت : رجل من بني غفار. فعرض علي الاسلام فاسلمت ، وشهدت أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً رسول اللّه.

فقال لي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : ارجع الى قومك ، فأخبرهم ، واكتم أمرك عن أهل مكة فاني أخشاهم عليك.

فقلت : والذي نفسي بيده ، لأصوّتن بها بين ظهرانيهم.

فخرج حتى أتى المسجد ، فنادى بأعلى صوته : أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمداً رسول اللّه.

فثار اليه القوم وضربوه حتى أضجعوه.

فأتى العباس ، فأكب عليه وقال : ويلكم ألستم تعلمون أنه من بني غفار ، وأن طريق تجارتكم الى الشام عليهم ، وأنقذه منهم.

ثم عاد من الغد الى مثلها ، وثاروا اليه فضربوه ، فأكب عليه العباس ، فأنقذه. ثم لحق بقومه. (1)

ومن طريف ما يروى عنه :

أنه رأى إمرأة تطوف بالبيت ، وتدعو بأحسن دعاء في الأرض ، وتقول : اعطني كذا وكذا .. ثم قالت في آخر ذلك : يا إساف ، ويا نائلة. !! (وهما صنمان لقريش ، زُعم أنهما كانا من أهل اليمن ، أحب أحدهما الآخر ، فقدما حاجين ، فدخلا الكعبة ، فوجداها خلواً من كل أحد ، ففجرا بها ، فمسخا حجرين ، فأصبح الحجاج ، فوجدوهما حجرين ، فوضعوهما الى جانب ليتعظ بهما الناس كي لا يتكرر هذا العمل ، ثم توالت الأيام ، فعبدتهما قريش كبقية الأصنام).

فالتفت أبو ذر الى تلك المرأة ، قائلا : أنكحي أحدهما صاحبه !.

فتعلقت به ، وقالت : أنت صابئ ، فجاء فتية من قريش فضربوه ، وجاء ناس من بني بكر ، فنصروه.

1- اعيان الشيعة ج 16 / 316 - 317 نقلا عن : الاستيعاب / باب الكنى. وفي الاصابة 4 / ص1. 63 وفي صحيح مسلم قريبا من ذلك.

فجاء الى النبي ، فقال : يا رسول اللّه ، أما قريش ، فلا أدعهم حتى أثأر منهم ... ضربوني !!

فخرج حتى أقام بعسفان (1) وكلما أقبلت عير لقريش يحملون الطعام ، ينفِّر بهم على ثنية غزال فتلقي أحمالها ، فيجمعوا الحنط ، (فيقول أبو ذر لهم) : لا يمس أحد حبة حتى تقولوا ، لا إله إلا اللّه. فيقولون ، لا إله إلا اللّه ، ويأخذون الغرائر ! (2)

وحين رجع أبو ذر الى قومه ، نفذ وصية رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، فدعاهم الى اللّه عز وجل ونَبذِ عبادة الأوثان والايمان برسالة محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، فكان أول من أسلم منهم أخوه أنيس ، ثم اسلمت أمهما ، ثم أسلم بعد ذلك نصف قبيلة غفار ، وقال نصفهم الباقي : اذا قدم رسول اللّه المدينة ، أسلمنا.

جاء في صحيح مسلم : عن أبي ذر قوله :

فأتيت أنيساً ، فقال : ما صنعت ؟ قلت : صنعت ، أني قد أسلمت وصدَّقت. قال : ما بي رغبة عن دينك. !

فأتينا أمَّنا. فقالت : ما بي رغبة عن دينكما ! فاني قد أسلمت وصدقت.

فاحتملنا (3) حتى أتينا قومنا غفاراً. فأسلم نصفهم.

1- عسفان : موضع على بعد ستة وثلاثين ميلا ، (بين مكة والمدينة) المعجم.
2- أعيان الشيعة 16 / 320 - 321. الكلمات التي بين قوسين خارجة عن الأصل.
3- يعني حملنا انفسنا ومتاعنا.

وقال نصفهم : أذا قدم رسول اللّه المدينة ، أسلمنا. فقدم رسول اللّه المدينة ، فأسلم نصفهم الباقي. وجاءت أسلم (1) فقالوا : يا رسول اللّه ! اخوتنا ، نسلم على الذي أسلموا عليه. فأسلموا.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) « غفَار غَفر اللّه لها. وأسلَم سالمها اللّه » (2).

ومجمل القول : فان أبا ذر (رضي اللّه عنه) كان من المبادرين الأول لاعتناق الاسلام حتى قيل انه رابع من أسلم ، وقيل خامسهم.

قال في الاستيعاب :

كان إسلام أبي ذر قديماً. يقال بعد ثلاثة ، ويقال : بعد أربعة ، وقد روي عنه أنه قال : أنا ربع الاسلام. وقيل : كان خامساً (3).

وقال الواقدي : وأسلم أبو ذر ، قالوا رابعاً ، أو خامساً (4) ..

1- اسم قبيلة.

2- صحيح مسلم 4 / ك الفضائل ص 1922.

3- الاستيعاب / حاشية على كتاب الاصابة / م 1 ص 213.

4- الكامل 2 / 60.

معَ الرَسُول (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

لم يأمر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أبا ذر (رضي اللّه عنه) باللحاق بقومه ، ودعوتهم الى الاسلام ، إلا لأنه توسم فيه صفات الكمال ، لما يتمتع به من روح عالية ، وثبات لا يتزعزع ، وتفان في العقيدة. فوجده أهلا لأن يقوم بدور من هذا النوع ، والاسلام يمر بأدق المراحل وأخطرها.

نحن نعلم أن النبي صلوات اللّه عليه كان – في بدء رسالته المباركة – يحتاج الى مزيد من المؤيدين والأعوان في داخل مكة ، وفي خارجها. في داخل مكة ، لتقوية الصف فيها ، وليمنع نفسه من قريش ! وفي خارج مكة ، لنشر مبادئ هذا الدين الجديد الحنيف ، واستقطاب أكبر عدد ممكن من الأفراد المسلمين كي ينهض بهذا الأمر جهرة وعلى الصعيد العام ، وتكون لديه القوة الكافية لصد أعدائه الذين يتربصون به الغيلة ويخططون للقضاء عليه وعلى الرسالة في مهدها.

لقد آثر النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) إيفاد أبي ذر الى قومه بني غفار ، على بقائه معه ، لثقته العالية بأنه سينجح في نشر الاسلام بينهم.

وهذا ما حصل ، فقد نجح أبو ذر في ذلك ، فقد أسلم نصف قومه على يده ، وأسلم النصف الباقي عند مجيء النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الى المدينة كما اسلفنا.

وبقي أبو ذر بينهم فترة طويلة. لم يحضر في خلالها غزاة بدر ولا أحد ، ولا الخندق (كما تقول الروايات) ، بقي بينهم في خندق الجهاد الآخر ، حيث كان يفقههم في دينهم ، ويعلمهم أحكام الاسلام ، وهذا جهاد يحتاج الى عزيمة وحكمة ودراية ونفس طويل.

وليس من الوارد في ذهن من يعرف أبا ذر ، أن يعتقد بتخلفه عن هذه الغزوات الثلاث بمحض ارادته واختياره ، بل من المؤكد أن تخلفه عنها ، وبقاؤه في قومه إنما كان بايعاز من الرسول الكريم (صلى اللّه عليه وآله وسلم). والجهاد بالسيف مقرون مع الجهاد في اللسان ، بتعليم الناس أحكام دينهم ، وتفقيههم بها. بعد تعلمها من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

قال تعالى : (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) 9 - 122.

قضى أبو ذر ، فترة بين بني قومه ، ثم عاد ليصحب النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ويأخذ عنه العلم والمعارف والحكمة.

وقد حظي من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بالاهتمام الكبير ، والعناية الخاصة. فقد كان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يبتدئه بالسؤال والكلام اذا حضر ، ويسأل عنه اذا غاب.

فعن ابي الدرداء قال : « كان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يبتدئ أبا ذر اذا حضر ، ويتفقده اذا غاب » (1).

ويظهر من بعض الأخبار انه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كان يمازحه ، كما كان هو يمازح

1- الاصابة 4 / 63 والاستيعاب ص 64.

النبي صلوات اللّه عليه وهذا إن دل على شيء ، فانما يدل على مكانته الخاصة لدى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

فقدروي انه قدم الى المدينة ، فلما رآه النبي قال له : « أنت أبو نملة !

فقال : أنا أبو ذر.

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : نعم ، أبو ذر (1).

وعن الصادق عليه السلام ، قال :

طلب أبو ذر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فقيل إنه في حائط (بستان) كذا وكذا.

فتوجه في طلبه ، فوجده نائماً ، فأعظمه أن ينبهه. فأراد أن يستبرئ نومه من يقظته ، فتناول عسيباً يابساً ، فكسره ليسمعه صوته. فسمعه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فرفع رأسه فقال :

يا أبا ذر ، تخدعني. أما علمت أني أرى أعمالكم في منامي ، كما أراكم في يقظتي ! إن عينيَّ تنامان ، ولا ينام قلبي (2) !!

وكان رضى اللّه عنه في صحبته للنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) حريصاً على اقتباس العلوم ، فكان يغتنم الفرصة في ذلك ، ويحدثنا هو عن نفسه ، فيقول :

لقد سألت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) عن كل شيء حتى سألته عن مس الحصى (في الصلاة) ، فقال : مسَّه مرة ، أو دع (3).

وقال : لقد تركنا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وما يحرك طائر جناحيه في السماء ، إلا ذكَّرنا منه علما (4).

1- الاصابة 4 / 63 والاستيعاب ص 64.

2- معجم رجال الحديث 4 / 171.

3- الغدير 8 / 312 عن مسند أحمد.

4- الاستيعاب 4 / 64.

وقال : دخلت ذات يوم في صـدر نهاره على رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) في مسـجده ، فلم أر في المسـجد أحـداً من الناس إلا رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) ، وعلي عليه السـلام جالس الى جانبه ، فاغتنمت خلوة المسـجد ، فقلت : يا رسول اللّه ، بأبي أنت وأمي ، أوصني بوصية ينفعني اللّه بها.

فقال صـلى اللّه عليه و آله : نعم ، واكرم بك يا أبا ذر ، إنك منا أهل البيت ..(1) وقد ذكرت وصيته بكاملها في آخر الكتاب ، وهي من عظيم كلامه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، وتصلح أن تكون بذاتها موضوعاً مستقلا يدرس.

وفي ميدان معارفه وعلومه التي اكتسـبها من النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) نذكر ما قاله أمير المؤمنين علي (عليه السلام) حين سئل عن أبي ذر. فروي أنه قال في ذلك :

وعى أبو ذر علمـا عجز النـاس عنه ، ثم أوكأ عليه ، فلم يخرج شـيئاً منه (2). وانمـا أوكـأ أبو ذر على ذلك العلم ، ومنعه عن الناس ، لأنه لا تحتمله عقولهم.

وفي رواية أخرى عن علي عليه السلام ، فيه :

« وعى علمـا عُجز فيه ، وكان شـحيحاً حريصاً على دينه ، حريصا على العلم ، وكان يكثر السؤال ، فيُعطى ويَمنع ، أما ان قـد ملئ في وعائه حتى امتلأ » (3).

وجاء عن كتاب حلية الأولياء : في هذا الصدد :

كان أبو ذر رضي اللّه تعالى عنه ، للرسول صلى اللّه عليه و آله

1- تنبيه الخواطر 2 / 300.

2- الاستيعاب / حاشية على الاصابة 4 / 64.

3- الغدير 8 / 311.

ملازمـا وجليسـا ، وعلى مسـائلته والاقتباس منه حريصا ، وللقيام على ما اسـتفاد منه أنيسا ، سأله عن الأصول والفروع ، وسأله عن الايمان والاحسان ، وسأله عن رؤية ربه تعالى ، وسأله عن أحب الكلام الى اللّه تعالى ، وسأله عن ليلة القدر أترفع مع الأنبياء ، أم تبقى ؟ وسأله عن كل شيء حتى مس الحصى في الصلاة (1). الخ.

وقد منحه النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أوسمة عالية أهمها :

قوله (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) : ما أظلت الخضـراء ، ولا أقلت الغبراء من ذي لهجـة أصـدق من أبي ذر. ومن سـرّه أن ينظر الى تواضـع عيسى بن مريم ، فلينظر الى أبي ذر (2).

وقد سئل الإمام الصادق عليه السلام عن صحة هذا الحديث ، فصدَّقه.

ففي معاني الأخبار بسنده ، عن رجل. قال :

قلت لأبي عبد اللّه عليه السـلام : أليس قال رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) في أبي ذر – رحمة اللّه عليه – ما أظلَّت الخضـراء ، ولا أقلَّت الغبراء على ذي لهجة ، أصدق من أبي ذر ؟

قال : بلى.

قال : قلت : فأين رسول اللّه ، وأمير المؤمنين ؟ وأين الحسن والحسين ؟

قال ، فقال لي : كم السنة شهراً ؟

1- نفس المصدر 312.

2- الاستيعاب / الاصابة 1 / 216.

قلت : إثنا عشر شهراً.

قال : كم منها حُرُم ؟

قال : قلت : أربعة أشهر.

قال : فشهر رمضان منها ؟

قال : قلت : لا.

قال (عليه السلام) : إن في شهر رمضان ليلة أفضل من ألف شهر ! إنَّا أهلُ بيت لا يقاس بنا أحد ! (1).

في غزوة تبوك

في غزوة تبوك ، وقف بأبي ذر جمله ، فتخلف عليه ، فقيل : يا رسول اللّه : تخلف أبو ذر.

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : ذروه ، فان يك فيه خير ، فسيلحقه اللّه بكم ، فكان يقولها لكم من تخلف عنه.

فوقف أبو ذر على جمله ، فلما أبطأ عليه ، أخذ رحله عنه ، وحمله على ظهره ، وتبع النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ماشياً.

فنظر الناس ، فقالوا : يا رسول اللّه ، هذا رجل على الطريق وحده.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : كن أبا ذر !

فلما تأمله الناس ، قالوا : هو أبو ذر !

فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ويشهده عصابة من المؤمنين (2).

1- معاني الاخبار ص 179.

2- الكامل 2 / 280 والاصابة ج 4 / 64 بلفظ قريب.

التشيُّع ... مَا هُوَ ؟

لكي تنثبت من الحقائق ، ونرفض كل ما يشيعه المغرضون حول عقيدة الشيعة ، ونشوئها في الاسلام ، يلزمنا – في هذا الحال – الرجوع الى عهود بعيدة ، مضت عليها قرون متعاقبة.

ولكن ، حينما يتحد المضمون ، تتلاشى عنده كل المواقيت ، وكل مؤشرات القرب والبعد ، فهو لا يتغير ، ولا يتبدل ، ولا يخضع لأي ضوابط ، زمانية كانت أو غيرها.

المضمون بالنسبة لنا واحد ، ألا وهو « الاسلام » فهو في كياننا اليوم ، كما كان بالأمس ، وكما كان قبل قرون ، وكما يكون غداً ، لا يتغير ولا يتبدل.

والتشيع بالنسبة لنا ، هو من صميم ذلك المضمون. ليس طارئا ، وليس جديداً على الاسلام ، بل هو أصل من أصوله ، دعا اليه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، كما دعا الى بقية أركان الدين.

فليس التشيع ، سوى حب أهل البيت عليهم السلام ، ومودتهم ،

ص: 44

والتمسك بهم. ومولاة علي عليه السلام بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأخذ معالم الدين من معدنه.

قال تعالى : (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (42 - 23).

هذا هو التشيع ببساطة.

قال الأزهري : الشيعة ، هم الذين يهوون عترة النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، ويوالونهم (1).

وقد نشأ التشيع لعلي (عليه السلام) في عهد الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الذي أوصى المسلمين في مواطن كثيرة ، بالتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) كما دعاهم الى ولاء علي (عليه السلام) ونصَّ على ذلك في حجة الوداع الاخيرة. حيث جاء في خطبته (صلى اللّه عليه وآله وسلم) :

معاشر المسلمين ، ألست أولى بكم من أنفسكم ؟

قالوا : اللّهم بلى.

قال : « من كنت مولاه ، فهذا علي مولاه ، اللّهم والِ من والاه ، وعادِ من عاداه وانصر من نصره ، واخذل من خذله ».

وقد روي هذا الحديث بطرق مختلفة ، وألفاظ متغايرة ، بمضمون واحد.

فقد رواه من الصحابة اكثر من مائة وعشرة صحابياً. ومن التابعين

1- متن اللغة 3 / مادة شيع.

أربعة وثمانون تابعياً ، ورواه من العلماء ، ثلاثمائة وستون عالماً (1) عدا من ألّف فيه.

وهذا الحديث هو المسمى بحديث الغدير ، نسبة لغدير خُمّ. وقد تمسك به الشيعة الإمامية كدليل هام في إثبات الخلافة لعلي عليه السلام بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، بالاضافة الى الأدلة الاخرى الكثيرة ، التي سنذكرها فيما بعد.

وعرف من الشيعة في عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) جماعة ، منهم أبو ذر رضى اللّه عنه ..

قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني : « إن لفظ الشيعة على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كان لقب أربعة من الصحابة ، سلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي وعمار بن ياسر (2) الى آخره.

من جهة أخرى ، فقد ورد لفظ الشيعة (شيعة علي (عليه السلام) على لسان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في عدة مناسبات). وما علينا الآن إلا أن نعرض بعض الاحاديث النبوية الشريفة المتضمنة لذلك.

1 - عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري ، قال : « كنا عند النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فأقبل علي بن أبي طالب ، فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : قد أتاكم أخي !

قال جابر : ثم التفت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الى الكعبة ، فضربها بيده ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن هذا وشيعته هم الفائزون يوم القيامة .. ثم

1- راجع كتاب الغدير ج 1 من ص 8 الى ص 151.
2- الشيعة وفنون الاسلام ص 31.

قال : إنه أولكم إيماناً معي ، وأوفاكم بعهد اللّه تعالى ، وأقومكم بأمر اللّه ، وأعدلكم في الرعية ، وأقسمكم بالسوية ، واعظمكم عند اللّه مزِّية.

قال : ونزلت فيه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) .

قال : وكان أصحاب محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أذا أقبل عليهم علي عليه السلام ، قالوا : قد جاء خير البرية » (1).

2 – أخرج الحافظ جمال الدين الذرندي ، عن ابن عباس رضى اللّه عنه ما. « ان هذه الآية لما نزلت ، قال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام) هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ... (2) الخ.

3 – أخرج أحمد في المناقب أنه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قال لعلي (عليه السلام) : أما ترضى أنك معي في الجنة والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وأزواجنا خلف ذريتنا ، وشيعتنا عن ايماننا وشمائلنا ».

4 – واخرج الديلمي : يا علي : ان اللّه عز وجل قد غفر لك ولذريتك ، ولولدك ، ولأهلك ولشيعتك ، ولمحبي شيعتك.

5 – وأخرج الطبراني عن علي (عليه السلام) قال : يا علي : ستقدم على اللّه وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه أعداؤك غضابا مُقمَحين .. (3)

6 – وأخرج ابن مردويه ، عن علي عليه السلام قال : قال لي رسول

1– فرائد السمطين 1 / 156.

2– الصواعق المحرقة / 159.

3– حق اليقين 1 / 171 و 205.

اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) ألم تسمع قول اللّه : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) هم انت وشيعتك وموعدي وموعدكم الحوض ، اذا جائت الامم للحساب ، تدعون غُرَّاً محجلين.

7 – وفي النهاية (لإبن الاثر – مادة قمح) : وفي حديث علي (عليه السلام) قال له النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : ستقدم على اللّه أنت وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضاباً مقمحين. ثم جمع يده الى عنقه يريهم كيف الإقماح.

8 – عن ربيع الأبرار ، يروى عن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسلم) أنه قال : يا علي ، اذا كان يوم القيامة ، أخذتُ بحُجزة (1) اللّه تعالى ، وأخذت أنت بحُجزتي وأخذ ولدك بحجزتك ، وأخذ شيعة ولدك بحجزهم. فتُرى أين يؤمر بنا ؟ (2).

وأما الأحاديث الأخرى التي تدعو المسلمين الى التمسك بعلي (عليه السلام) وأهل البيت الطاهر فان استقصاءها وذكرها يحتاج الى وضع مجلـد ضـخم. لكننا نـذكر بعضاً منها هنا ، لأجل التبرك بها من جهـة ، ولاطلاع القارئ الكريم على مـدى ما تحمل من أهمية ، من جهة أخرى.

1 – روى الجويني بسنده عن ابن عباس (رضي اللّه عنه) قال : قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) :

من سـره أن يحيا حياتي ، ويموت مماتي ، ويسـكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليقتدِ بالأئمة من بعدي ، فانهم عترتي ، خلقوا من طينتي ، ورزقوا فهماً وعلماً ، ويل للمكذبين بفضلهم من أمتي ،

1– قوله (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : اخذت بحجزة اللّه تعالى : كناية عن التعلق والامتناع به.
2– أصل الشيعة وأصولها 110 / 111.

القاطعين فيهم صلتي ، لا أنالهم اللّه شفاعتي (1).

2 – وعن أنس بن مالك قال :

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : يا أنس ، أسكب لي وضوءاً (قال :) ثم قام فصلى ركعتين ثم قال : يا أنس ، أول من يدخل عليك من هذا الباب ، أمير المؤمنين (وسيد المسلمين) وقائد الغر المحجلين ، وخاتم الوصيين.

قال أنس : قلت : اللّهم اجعله رجلاً من الانصار – وكتمته – اذ جاء علي صلوات اللّه عليه ، فقال : من هذا يا أنس ؟ فقلت : علي. فقام (صلى اللّه عليه وآله وسلم) مستبشراً ، فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه بوجهه ، ويمسح عرق وجه علي بوجهه.

فقال علي عليه السلام : يا رسول اللّه ، لقد رأيتك صنعت شيئا ، ما صنعت بي من قبل ؟

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : وما يمنعني ، وأنت تؤدي عني ، وتسمعهم صوتي ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي.

3 – وعن ابي ذر الغفاري – رضى اللّه عنه – قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله :

أنا خاتم الأنبياء ، وأنت يا علي خاتم الأوصياء الى يوم الدين.

1– فرائد السمطين / للجويني بسنده / 53.

ولفظ أبي ذر : أنا خاتم النبيين ، كذلك علي خاتم الأوصياء الى يوم الدين.

4 – وعن جابر بن عبد اللّه (الأنصاري) قال :

قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله لعلي عليه السلام : أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لا نبي بعدي. (هذا الحديث رواه الجويني بعدة طرق ، وهو حديث مشهور وهو المسمى بحديث (المنزلة). ورواه مسلم في صحيحه عن سعد بن ابي وقاص عن أبيه » راجع فضائل الصحابة / 4 – 1870).

5 – وجاء في حديث طويل ، عن أبي أيوب الأنصاري :

يا عمار ، إن علياً لا يردك عن هدى ، ولا يدلك على ردى.

يا عمار ، طاعة علي طاعتي ، وطاعتي طاعة اللّه عز وجل. !

6 – وعن ابن مسعود ، قال : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : علي بن أبي طالب حلقة معلقة بباب الجنة ، من تعلق بها دخل الجنة.

7 – وعن انس بن مالك ، قال :

إن سائلاـ أتى المسجد وهو يقول : من يقرض المليّ الوفي ؟ وعلي – عليه السلام – راكع يقول (1) بيده خلفه للسائل خذه ، أي اخلع الخاتم من يدي. قال : فقال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله : يا عمر ، وجبت. قال : بأبي انت وأمي يا رسول اللّه ، ما وجبت ؟ قال وجبت له الجنة. واللّه ما خلعه من يده ، حتى خلعه من كل ذنب وخطيئة (2).

1– يقول : يشير.

2– فرائد السمطين 1 / 145 و 147 و 123 و 178 و 180 و 188.

8 – وعن ابن عباس رضى اللّه عنه ، قال :

أقبل عبد اللّه بن سلاّم ، ومعه نفر من قومه ، ممن قد آمنوا بالنبي صلى اللّه عليه و آله فقالوا : يا رسول اللّه ، إن منازلنا بعيدة ، وليس لنا مجلس ، ولا متحدث دون هذا المجلس ، وان قومنا لما رأونا آمنا باللّه ورسوله ، وصدقناه ، رفضونا ، وآلوا على أنفسهم أن لا يجالسونا ، ولا يناكحونا (أي لا يتزوجون منا ولا نتزوج منهم) ولا يكلمونا ، فشق ذلك علينا.

فقال لهم النبي صلى اللّه عليه و آله : (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (55 – المائدة).

ثم إن النبي صلى اللّه عليه و آله خرج الى المسجد ، والناس بين قائم وراكع ، وبصر بسائل.

فقال له النبي صلى اللّه عليه و آله : هل أعطاك أحد شيئاً ؟

قال : نعم ، خاتم من ذهب (1) .

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : من أعطاكه ؟

قال : ذلك القائم – وأومأ بيده الى علي بن أبي طالب –.

فقال النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : على أي حال أعطاك ؟

قال : أعطاني وهو راكع !.

فكبَّر النبي صلى اللّه عليه و آله ، ثم قرأ : (وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ

1– هكذا في شواهد التنزيل. ولكن في الحديث المروي عن ابن عباس : خاتم من فضة / راجع التعليقة.

وَرَسُولَهُ وَالّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ) (55 – المائدة).

فأنشأ حسان بن ثابت يقول :

أبا حسن تفديك نفسي ومهجتي *** وكل بطيئ في الهوى ومسارع

أيذهب مدحي والمحبين ضائعاً *** وما المدح في جنب الإله بضائع

فأنت الذي اعطيت اذ كنت راكعاً *** فدتك نفوس القوم يا خير راكع

فانزل فيك اللّه خير ولاية *** وبينها في محكمات الشرائع (1)

وقصة التصدّق بالخاتم – هذه – من أشهر المشهورات ، وقد رواها الجويني بعدة طرق ، وبأسانيد مختلفة ، كما رواها غيره من أرباب الحديث.

ونكتفي هنا بهذا العرض لبعض الروايات في هذا المضمون ، والتي هي نزر قليل من الكثير الكثير ، اذ لو أردنا استقصاء وذكر الأحاديث المروية عن النبي صلى اللّه عليه و آله في فضل أمير المؤمنين علي عليه السلام ، والمشتملة على النص بالولاية منه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) له (عليه السلام) من بعده ، وعلى إلزام المسلمين بالأخذ عن أهل البيت عليهم السلام معالم دينهم لألزمنا ذلك بافراد كتاب مستقل ، ولأخرجنا عن الموضوع.

ومجمل القول :

فان الشيعة يعتقدون بأن الإمامة ، لا تكون إلا بالنص من اللّه تعالى ،

1– فرائد السمطين 1 / 189 / 190. راجع مجمع البيان وشواهد التنزيل ، وذخائر العقبى. فانه أشار فيه الى هذه الآية وثماني آيات نزلت في علي. راجع ص1. 89 – ومن أحب الاستزادة في فضائل الامام ، فليراجع صحيح مسلم م 4 ص 1870 وفضائل الخمسة من الصحاح السنة وغيرها.

على لسان النبي ، أو على لسان الإمام الـذي قبله ، وأن الإمام لا بـد وأن يكون معصوماً من جميع الرذائل ، ومن السـهو والخطأ والنسـيان ، كما لا بد وأن يكون أفضل الناس بعد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

ولا يهمنا من بحث الإمامة هنا « اثبات انهم هم الخلفاء الشـرعيون ، وأهل السـلطة الإلهية ، فان ذلك أمر مضى في ذمة التاريخ ، وليس في اثباته ما يعيد دورة الزمن من جديد أو يعيد الحقوق المسلوبة الى أهلها ، وانما يهمنا منه ، ما ذكرنا من لزوم الرجوع اليهم في الأخذ بأحكام اللّه الشـرعية ، وتحصـيل ما جاء به الرسول الأكرم على الوجه الصحيح الذي جاء به ، وان في أخذ الأحكام من الرواة والمجتهدين الذين لا يستقون من نمير مائهم ، ولا يستضيئون بنورهم ، ابتعاداً عن محجة الصواب في الدين » (1).

1- عقائد الشيعة الامامية / 99.

أبو ذَرّ وَالتّشيُّع

من هذا المنطلق الواضح ، يمكننا القول بأن التشيع ليس مذهبا طارئا على الاسلام ، أو فكرة دخيلة عليه ، بل هو من صميم الاسلام ، وأصل من أصوله. نشأ في عهد النبي الأعظم ، وبايعاز منه صلوات اللّه عليه. فهو الذي بذر هذه البذرة المباركة وتعاهدها بنفسه.

والمهم لدينا الآن ، هو الوصول الى ما نريده من هذه الحقيقة ، الهامة ، وهو التحدث عن تشيع أبي ذر الصحابي العظيم (رضي اللّه عنه). وغيره من الصحابة .. وما علينا في هذا الحال إلا أن نسرد بعض النصوص التأريخية المتضمنة لذلك.

قال أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني :

إن لفظ الشيعة على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) كان لقب أربعة من الصحابة .. سلمان الفارسي ، وأبي ذر الغفاري ، والمقداد بن الأسود الكندي ، وعمار بن ياسر (1)..

وقال الشيخ المفيد رحمه اللّه ، في بيان إمامة أمير المؤمنين علي (عليه السلام).

فاختلفت الأمة في إمامته يوم وفاة النبي صلى اللّه عليه و آله ،

1- الشيعة وفنون الاسلام / 31.

فقالت شيعته ، وهم : بنو هاشم كافة ، وسلمان ، وعمار ، وأبو ذر (1) .. الخ.

وقال اليعقوبي ، حول الموضوع ذاته :

وتخلف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والأنصار ، ومالوا مع علي بن أبي طالب. منهم : العباس بن عبد المطلب ، الى أن قال : وأبو ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر (2) .. الخ ما ذكره.

وقال الكشي عنه : وهو الهاتف بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام ، ووصي رسول اللّه واستخلافه إياه (3) ..

وجاء في سيرة الأئمة الإثني عشر ، حول الموضوع ذاته :

« واحتج عليهم سلمان الفارسي ، وأبو ذر ، وعمار ، والمقداد ، وغيرهم من وجوه الصحابة (4) ..

وجاء في كتاب أصل الشيعة وأصولها ، في ذكر طبقات الشيعة :

الطبقة الأولى : وهم أعيان الصحابة ، وأبرارهم ، كسلمان المحمدي - أو الفارسي - وأبي ذر ، والمقداد وعمار ، وخزيمة ذي الشهادتين ، وابن التيهان ، وحذيفة بن اليمان ، والزبير ، والفضل بن العباس ، وأخيه الحبر عبد اللّه ، وهاشم بن عتبة المرقال ، وابي ايوب الأنصاري ، وأبان وأخيه خالد - ابني سعيد العاص ، الأمويين - وأبي بن كعب سيد القراء. وانس بن الحرث بن نبيه ، الذي سمع النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول : أن ابني الحسين (عليه

1- الارشاد / 10.

2- تاريخ اليعقوبي 2 / 124.

3- معجم رجال الحديث 4 / 168.

4- سيرة الأئمة 1 / 295.

السلام) يقتل في أرض يقال لها : كربلاء فمن شهد ذلك منكم ، فلينصره. فخرج أنس ، وقتل مع الحسين عليه السلام (راجع الإصابة والاستيعاب).

ثم قال الشيخ رحمه اللّه تعالى : ولو أردت أن أعد عليك الشيعة من الصحابة ، واثبات تشيعهم من كتب السنة ، لأحوجني ذلك الى إفراد كتاب ضخم (1).

الى غير ذلك من النصوص والأخبار ، التي تصرح بتشيع أبي ذر (رضي اللّه عنه) وغيره من الصحابة لعلي (عليه السلام) وآل البيت الطاهر تشيعاً ليس عاطفياً يقتصر على حبهم فحسب ، بل تشيعاً مبدئياً ، ينادي بأحقية علي عليه السلام في الخلافة بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بلا فصل. استناداً الى ما سمعه هو ، وبقية الصحابة منه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في ذلك ، كحديث الغدير المتقدم وأمثاله.

فقد كان أبو ذر رضى اللّه عنه ، ممن ثبت على هذا المبدأ ، فنافح عنه ، ودافع على أكثر من جبهة ، وفي عدة مواطن ، ودعا المسلمين اليه بكل جرأة وصراحة ، حتى آخر لحظة من حياته. ففي مكة ، كان لسانه يلهج بذلك ، وفي المدينة ، كما في الشام ، وحتى في منفاه الأخير في الربذة ، لم يتوان ، ولم يتلكأ في تأدية الأمانة.

وفي مكة المكرمة ، وحول البيت العتيق ، مهوى قلوب الملايين من المسلمين ومركز تجمعهم في كل عام ، كان أبو ذر يغتنم الفرصة ، فيدعو المسلمين ، ليحدثهم بما سمع عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في حق أهل البيت بصورة عامة ، وعلي عليه السلام بصورة خاصة.

فمن ذلك ، ما رواه الجويني بسنده ، عن عباية بن ربعي ، قال :

1- أصل الشيعة وأصولها / 86.

بينما عبد اللّه بن عباس ، جالس على شفير زمزم (يقول : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله) ، اذ أقبل رجل متعمم بعمامة.) فجعل ابن عباس لا يقول ، قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، إلا قال الرجل : قال رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله .

فقال ابن عباس : سألتك باللّه ، من أنت ؟

قال : فكشف العمامة عن وجهه ، وقال : يا أيها الناس من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا جندب ابن جنادة البدري ، أبو ذر الغفاري ، سمعت النبي صلى اللّه عليه و آله بهاتين ، وإلا فصمَّتا ، ورأيته بهاتين ، وإلا فعميتا.

يقول : علي قائد البررة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله.

أما اني صليت مع رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله يوماً من الأيام صلاة الظهر ، فسأل سائل في المسجد ، فلم يعطه أحد ، فرفع السائل يده الى السماء وقال : (اللّهم) إشهد اني سألت في مسجد رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فلم يعطني أحد شيئا ، وعلي عليه السلام كان راكعا ، فأومأ بخنصره اليمنى – وكان يتختم فيها – فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بعين رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فلما فرغ النبي صلى اللّه عليه و آله من صلاته ، رفع رأسه الى السماء ، وقال :

اللّهم إن أخي موسى سألك فقال : (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي هَارُونَ أَخِي اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي) (1) ، فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً

1- مقتبس من آية 25 – 32 / طه.

(سَ نَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا) (1)اللّهم ، وأنا محمد نبيك وصفيك ، اللّهم اشرح لي صدري ، ويسر لي أمري ، واجعل لي وزيراً من أهلي ، علياً أخي ، أشدد به ظهري. (2)

قال أبو ذر : فواللّه ، ما استتم رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله الكلمة ، حتى نزل عليه جبرئيل من عند اللّه ، فقال :

يا محمد إقرأ (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ) (3).

وروى الجويني أيضا بسنده الى الحافظ ابي بكر ، بسنده عن كديرة الهجري.

قال : إن أبا ذر أسند ظهره الى الكعبة ، فقال :

أيها الناس ، هلموا أحدثكم عن نبيكم صلى اللّه عليه و آله . سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول لعلي ثلاثاً. لئن يكون قال لي واحدة منهن ، أحب الي من الدنيا وما فيها.

سمعت رسول اللّه يقول لعلي (عليه السلام) : اللّهم أعنه واستعن به ، اللّهم انصره وانتصر به ، فانه عبدك وأخو رسولك (4).

وفي المستدرك ، عن حنش الكناني ، أنه قال :

سمعت أبا ذر يقول - وهو آخذ بباب الكعبة - : أيها الناس ، من

1- من آية 34 / القصص.

2- 2 وفي شواهد التنزيل : اشدد به أزري.

3- فرائد السمطين 1 / 191 / 192.

4- نفس المصدر ص 68.

عرفني ، فأنا من عرفتم ، ومن أنكرني ، فأنا أبو ذر ، سمعت رسول اللّه يقول :

ألا إن مثل أهل بيتي فيكم ، مثل سفينة نوح من قومه ، من ركبها نجا ، ومن تخلف عنها غرق (1).

وفي المدينة ، عاصمة العالم الاسلامي ، ومقر الخلافة ، كان رضى اللّه عنه يقوم بنفس الدور ، على الرغم من المراقبة الشديدة المفروضة من قبل الأمويين ودعاتهم في ذلك الوقت.

قال اليعقوبي في تأريخه :

« وبلغ عثمان أن أبا ذر ، يقعد في مسجد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ويجتمع اليه الناس ، فيحدث بما فيه الطعن عليه ، وأنه وقف بباب المسجد ، فقال :

أيها الناس ، من عرفني ، فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا أبو ذر الغفاري ، جندب بن جنادة الربذي : إن اللّه إصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم ، وآل عمران على العالمين. ذرية بعضها من بعض ، واللّه سميع عليم. محمد الصفوة من نوح ، فالأول من إبراهيم ، والسلالة من إسماعيل ، والعترة الهادية من محمد. إنه شرف شريفهم واستحقوا الفضل في قوم (قومهم) هم فينا كالسماء المرفوعة ، وكالكعبة المستورة ، أو كالقبلة المنصوبة ، أو كالشمس الضاحية ، أو كالقمر الساري ، أو كالنجوم الهادية (أو كالشجرة الزيتونة) أضاء زيتها ، وبورك زبدها. ومحمد وارث علم آدم ، وما فضل به النبيون ، وعلي بن أبي طالب وصي محمد ووارث علمه.

أيتها الأمة المتحيرة ، أما لو قدمتم من قدَّم اللّه ، وأخرتم من أخَّر

1- المستدرك / 3 / 150 - 151.

اللّه وأقررتم الوالية والوراثة في أهل بيت نبيكم ، لأكلتم من فوق رؤوسكم ، ومن تحت أقدامكم ، ولما عال ولي اللّه ، ولا طاش سهم من فرائض اللّه ، ولا اختلف إثنان في حكم اللّه ، إلا وجدتم علم ذلك عندهم ، من كتاب اللّه وسنة نبيِّه ، فأما اذا فعلتم ما فعلتم ، فذوقوا وبال أمركم ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون (1) ..

وفي الشام ، كان أبو ذر يسلك نفس المسلك مع من يجتمع اليه من الناس ويحدثهم بمثل ذلك.

قال اليعقوبي : وكان يجلس في المسجد - يعني في الشام - فيقول كما كان يقول (في المدينة) ويجتمع اليه الناس ، حتى كثر من يجتمع اليه ، ويسمع منه (1).

وحتى في الربذة ، منفاه الموحش المقفر ، لم تصرفه آلامه وهمومه ، ولا ما هو فيه من الاغتراب عن مواطن الايمان والجهاد ، والأصحاب الأخلاء. لم يصرفه ذلك ولم يشغله عن اكمال مسيرته التي بدأت خطاها في عهد النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فظل متمسكا بمبدأه هذا ، منادياً به حين تمكنه الفرصة من ذلك ، فرصة اللقاء بمن يستمع اليه ، ويأخذ منه.

في شرح النهج ، عن أبي رافع ، قال :

أتيت أبا ذر بالربذة ، أودعه. فلما أردت الانصراف ، قال لي ، ولأناس معي : ستكون فتنة ، فاتقوا اللّه ، وعليكم بالشيخ : علي بن أبي طالب ، فاتبعوه.

والحق أن موقف أبي ذر من مبدأ التشيع ، كان موقفاً مثالياً يجسم لنا كل معاني الثبات والصمود ، فما كان لتلين له عريكة فيه ، ولا لتميل له

1- تأريخ اليعقوبي 2 / 172.

قناة ، لقد كان صلباً قوياً ، متفانياً في سبيل ذلك. وكأنه في موقفه هذا ، يفسر لنا بيعته لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

أن لا تأخذه في اللّه لومة لائم ، وأن يقول الحق ولو كان مرا. !

عن معاوية بن ثعلبة الليثي قال :

مرض أبو ذر ، فأوصى الى علي عليه السلام .

فقال بعض من يعوده : لو أوصيت الى أمير المؤمنين عثمان ، كان أجمل لوصيتك من علي.

قال : واللّه لقد أوصيت الى أمير المؤمنين ، حق أمير المؤمنين ! واللّه أنه للربيع الذي يسكن اليه ، ولو قد فارقكم. لقد انكرتم الناس وانكرتم الأرض.

قال : قلت : يا أبا ذر ، انا لنعلم أن أحبهم الى رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله أحبهم اليك !

قال : أجل !

قلنا : فأيهم أحب اليك ؟

قال : هذا الشيخ المظلوم ، المضطهد حقه ! يعني علي بن أبي طالب. (1)

1- أعيان الشيعة 16 / 332.

إقامتهُ في بِلاَد الشَّام

ص: 63

إقامتُه في بِلاَد الشَّام

حين نقرأ سيرة أبي ذر في الكتب التأريخية وغيرها ، نجد أنفسنا أمام صورة غير واضحة لهذا الصحابي العظيم ، فنجد شيئا من الغموض يكاد يكتنف حياته. ولعل مردّ ذلك يعود الى نوع من التعتيم الاعلامي ، فرض على مسار هذه الشخصية.

فمثلا. نجد بعض المؤرخين ، كالطبري ، وابن الأثير ، قد أهملوا التفصيل في كيفية نفي أبي ذر الى المدينة ، فالربذة ، كما أهملوا ذكر النزاع الذي جرى بينه وبين عثمان.

ونجد : البعض الآخر يحاول الدفاع عن عثمان ، فيذهب الى القول : بأن أبا ذر نزل الربذة بمحض اختياره.

والبعض الآخر ، يؤكد نفي أبي ذر الى الشام أوّلا ، ثم الى المدينة ، ثم الى الربذة.

ونحن بـدورنا ، نريـد التثبت من الحقائق حول هذا الامر ، عن طريق الاسـتعانة ببعض الروايات ، والنصوص التأريخية ، والابتعاد عمَّا تمليه العاطفة والحساسيات الخاصة.

ص: 65

والذي وجدته – بعد التأمل والتدقيق – أن أبا ذر كان قد أقام في الشام مدة طويلة ، ربما نافت على العشـرة سنوات. تسنى له من خلالها نشر مذهبه في التشيع لعلي وأهل البيت عليهم السلام .

وعليّ الآـن ، أن أعرض للقـارئ كلمات بعض المؤرخين والباحثين ، الـذين ذهبوا الى القول : بأن أبا ذر أُخرج الى الشام منفيَّاً ، ليتسـنى له المقارنة بينها وبين النصوص الاخرى التي تؤكد خلاف ذلك.

قال أبن أبي الحديد في شرح النهج :

« واعلم : أن الذي عليه اكثر أرباب السـيرة ، وعلماء الاخبار والنقل ، أن عثمان نفى أبا ذر أوّلا الى الشام ، ثم اسـتقدمه الى المدينة لمَّا شكا منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة الى الربذة ، لما عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام » (1).

وقال السيد المرتضى رحمه اللّه تعالى :

« بل المعروف والظاهر ، أنه نفاه أوّلا الى الشام ، ثم استقدمه الى المدينة لما شكا منه معاوية ، ثم نفاه من المدينة الى الربذة .. » (2).

وقال السيد الامين رحمه اللّه :

« وما كان أبو ذر ليترك المدينة ، مهاجر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، ومسجده ، ومجاورة قبره ، اختيار ، ويذهب الى الشام ، فيجاور بني أميَّة ، وانما خرج الى الشام منفياً » (3).

1- شرح النهج 8 / 255 - 256.

2- اعيان الشيعة 16 / 363.

3- نفس المصدر / 353 / 354.

الى غير ذلك من أقوال غيرهم ، التي تفيد الشهرة حول هذا الامر ، والشهرة في هذا المقام لا تغني من الحق شيئاً ، فرب مشهور لا أصل له ، سيما اذا قام الدليل على خلافه.

والآن نعرض للقارئ بعض النصوص الاخرى ، نضعها بين يديه للتأكد مما نرمي اليه ، من القول : بأن إقامة أبي ذر في الشام كانت طويلة جدا ، وكانت بادئ الامر بمحض اختياره ورغبته ، وكامل حريته ، إلا أن حريته في الذهاب الى المدينة المنورة ، ومجاورة قبر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) متى شاء ، أصبحت مقيدة آخر الامر بسبب ما جرى بينه وبين عثمان.

قال في الاستيعاب :

« بعد أن أسلم أبو ذر ، رجع الى بلاد قومه ، فأقام بها حتى مضت بدر ، وأحد ، والخندق ، ثم قدم على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) المدينة ، فصحبه الى أن مات صلى اللّه عليه و آله .

ثم خرج بعد وفاة أبي بكر الى الشام ، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية ، فنفاه وأسكنه الربذة ، فمات بها .. » (1).

وهنا ، يحق لنا التساؤل :

ما هو المبرر لرفض هذه الرواية. ؟ مع أن هناك الشواهد الكثيرة على صحة مضمونها !؟

إن رفض هذه الرواية ، لا مبرر له ، فأي مانع من أن يكون أبو ذر ، قد أقام في الشام بمحض اختياره ، إن لم نقل بأنه كان يتعرض لمضايقات معينة

1- الاستيعاب (حاشية على كتاب الاصابة) م 1 ص 213.

– نظرا لجرأته وصراحته – دفعت به الى الاقامة فيها أثناء خلافة عمر بن الخطاب.

إن من يتتبع سيرة أبي ذر ، يجد أن هذه الشخصية الفريدة ، يكتنف مسارها الغموض والتعتيم من الفترة ما بين خلافة عمر الى خلافة عثمان ، فلاحديث ، ولارواية ، ولا أي شيء يتعلق به في تلك الفترة ، ! مع كونه من المبرزين الأول في الاسلام ، دينا ، وفضلا ، وعلما ، فهو لم يكن مسلما عاديا يقرن بعامة المسلمين ، بل كان من خيرة خيرتهم ، ممن نوَّه رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بفضلهم ، وممن حازوا قصب السبق في مجالي الدين والعلم ، ويكفي قول رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله فيه : « ما تقل الغبراء ، ولا تظل الخضراء من ذي لهجة أصدق ولا أوفى من أبي ذر ، شبيه عيسى بن مريم »(1).

وحديث علي عليه السلام فيه: « وعاء ملئ علما ، ثم أوكأ عليه » (2)(3).

إن التعتيم الاعلامي على مسار أبي ذر (رضي اللّه عنه) في تلك الفترة ، ربما لم يكن مقصودا ، ولكنه يؤكد تأكيدا كاملا على أنه كان بعيدا عن مركز الخلافة ، أعني : المدينة المنورة – عاصمة العالم الاسلامي – آنذاك.

كما أنه لم يكن في تلك الفترة في موطنه الاصلي ، أعني منازل قومه بني غفار ، لأن النصوص لا تشير الى ذلك البتة.

اذن : أين كان أبو ذر في تلك الفترة ؟.

الشواهد التأريخية كلها ساكتة عن وجوده في أي بلد ، ما عدا الشام.

1– المستدرك مع التلخيص م 3 / 342.

2– الغدير 8 / 311 نقلا عن أسد الغابة 5 / 186 وشرح الجامع الصغير 5 / 423 وفي الاصابة / 4 ص 64.

3– الوكاء – ما يشد به الكيس ، والمقصود هنا ربما يكون هو أن علم أبي ذر مما لا يطيقه الناس ولا تتحمله عقولهم فلذلك أخفاه عنهم.

نعم : كان أبو ذر رضـى اللّه عنه في تلك الفترة ، قـد اتخذ الشام وجوارها مقرا له ، وقد كان يقوم بدوره الرسالي فيها على أكمل وجه. هذا ما يستفاد من بقية النصوص والروايات في هذا الصدد.

جاء في رواية البلاذري :

« وقال عثمان يوما : أيجوز للامام أن يأخذ من المال ؟ فاذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك.

فقال أبو ذر : يابن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا !؟

فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي ، وأولعك بأصحابي !؟ إلحق بمكتبك ! وكان مكتبه بالشام ، إلا أنه كان يقدم حاجا ، ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله ، فيأذن له في ذلك .. » (1).

وكلمة « مكتب » هنا ، تعني : مركز تجمع كتائب الجيش الاسلامي ، والرواية صريحة في كون إقامته بالشام لم تكن قسرا.

ويؤيدها ، ما جاء في تأريخ ابن الأثير ، قال في حوادث سنة 23 :

« وفيها غزا معاوية الصائفة (الروم) ومعه عبَّادة بن الصامت ، وأبو أيوب الأنصاري ، وأبو ذر .. »

وقال في حوادث سنة 28 :

« كان فتح قبرس على يد معاوية .. الى أن قال : ولما غزا معاوية هذه السنة ، غزا معه جماعة من الصحابة ، فيهم أبو ذر .. » (2) الخ.

1- الغدير 8 / 293 نقلا عن الانساب 5 / 52 / 54.

2- الكامل 3 / 77 و 95.

وجاء في كلام ابن بطال :

« وكان في جيشة – يعني معاوية – ميل الى أبي ذر ، فأقدمه عثمان حشية الفتنة » (1).

وجاء في رواية الواقدي :

« إن أبا الأسود الدؤلي قال : كنت أحب لقاء أبي ذر ، لأسأله عن سبب خروجه الى الربذة ، فجئته ، فقلت له :

ألا تخبرني ، أخرجت من المدينة طائعا ؟ أم أخرجت كرها ؟

فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين ، أغني عنهم ، فأخرجت الى المدينة ، فقلت دار هجرتي وأصحابي ، فأخرجت من المدينة الى ما ترى ! » (2).

والثغر الذي عناه ، هو بلاد الشام بالطبع. ويلاحظ هنا ، أنه لم يقل أخرجت الى ثغر من ثغور المسلمين ، أو اخرجت الى الشام. بينما قال : أخرجت الى المدينة ، ثم قال : فأخرجت الى ما ترى – يعني البرذة – مما يدل على أنه كان مختارا ، أو مرتاحا – على الأقل – في اقامته بالشام.

وجاء في رواية ثانية للواقدي :

« فقال عثمان : أخرج عنا من بلادنا !

فقال أبو ذر : ما أبغض الي جوارك ، فالى أين أخرج ؟

قال : حيث شئت !

قال : أخرج الى الشام ، أرض الجهاد ؟!

1- الغدير 8 / 325 عن عمدة القارئ للعيني 4 / 291.

2- شرح النهج 80 / 360.

قال : انما جلبتك من الشام ، لما قد أفسدتها ، أفأردك اليها !؟ » (1).

إن هـذه الروايات ، تعطينا الـدليل الكافي ، بل القاطع ، على أن اقامـة أبي ذر في الشام لم تكن جبريـة ، ولم يكن مكرها فيها ، كما لم تكن قصيرة تقاس بالأشهر.

ولا يعني هـذا ، أنه في خلال اقامته تلك ، كان قد انقطع عن زيارة مدينة الرسول (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) فمما لا شك فيه أن أبي ذر لا يفوته الحج الى بيت اللّه الحرام في كل عام ، كما لا تفوته زيارة قبر الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ومجاورته ، ومن ثمَّ اللقاء بالصحابة ، وزيارة دار الخلافة ، والنظر في شئون المسلمين.

من هنا ، يمكننا الركون – بكل بساطـة – الى القول بأن ما جرى بينه وبين عثمان بادئ الامر ، من النقاشات الكلاميـة الحادة ، لم يكن سـببا في نفيه الى الشام – كما يتصور – بل كان في أغلب الاحيان ، سـببا في تعجيل رجوعه الى الشام ، وتقييـدا لحريته في الاقامـة بالمدينة متى شاء ، وكيف أراد.

وبهذا يتضح وهن الرأي القائل بأن عثمان نفاه الى الشام ، هذا الرأي الذي يهدف – غالبا – الى إضفاء صبغة مأساوية ، تضاف الى مأساة أبي ذر الحقيقية ، وهي نفيه (الى المدينة ، ومن ثم الى الربذة).

بعـد هذا العرض ، ننتقل الى حقيقة تأريخية هامة ، تتصل بسـيرة هذا الصـحابي العظيم ، ومكوثه في بلاد الشام هذه المدة الطويلة ، وقيامه بدوره الرسالي على أكمل وجه. تلك هي : صلته بنشأة التشيع في جبل عامل ، وهذا ما سنعرضه في الفصل التالي :

1- المصدر السابق.

أبو ذرّ وَالتّشيُّع في جَبل عَامِل

اشارة

وقبل الـدخول في الموضوع ، لا بد لنا من الوقوف على موقع (جبل عامل) الجغرافي من بلاد الشام ، تأريخيا ، لكي تتثبت من إقامة ابي ذر فيه ، وتنجلي لنا حقيقة الامر في ذلك.

حدود الشام :

قال ياقوت في معجم البلدان : وأما حدها – يعني الشام – فمن الفرات الى العريش المتاخم للديار المصرية.

وأما عرضها : فمن جبلي طيئ من نحو القبلة ، الى بحر الروم ، وما بشأمة ذلك من البلاد. وبها من أمهات المدن : منبج ، وحلب ، وحماة ، وحمص ، ودمشق ، والبيت المقدس ، والمعرة. وفي الساحل : إنطاكية ، وطرابلس ، وعكا ، وصور ، وعسقلان ، وغير ذلك .. الخ (1).

هذه هي سعة الشام وسعة حدودها – في ذلك الوقت – ويتضح من ذلك ، ان منطقة جبل عامل داخلة في ضمنها ، لأن منها صور.

وقال في متن اللغة. مادة : ع م ل.

بنو عاملة ، حي يمان من ولد الحرث بن عدي. ينتهي الى كهلان بن سبأ ، نُسبوا الى أمهم عاملة بنت مالك القضاعية. وجبلهم بالشام ، فوق

1- معجم البلدان 3 / 312 مادة : شأم.

صور وصيدا ، يعرف بهم. واشتهر باسم : جبل عامل (1).

المهم : ان الشام لم تكن اسما لخصوص دمشق (العاصمة) ، بل كان لفظ الشام يطلق على المنطقة المشار اليها آنفا بأجمعها ، بما فيها جبل عامل.

وقد أشرنا سابقا الى أن أبا ذر (رضي اللّه عنه) أقام في الشام بعد وفاة أبي بكر - كما يظهر من رواية الاستيعاب - حتى شكاه معاوية الى عثمان ، فأخرجه الى المدينة ، ثم نفاه الى الربذة. وأن الروايات الاخرى التي تشير الى اخراجه من المدينة الى الشام ، لا تعني اخراجه اليها منفيا ، بل كل ما هناك أن عثمان كان يأمره بالتعجيل في الخروج الى الشام ، كما في قوله له : « الحق بمكتبك ». راجع ص 67.

ثم ان اقامة أبي ذر فيها ، لا تعني في خصوص دمشق - كما يتوهم - بل في المنطقة عامة ، يؤيد ذلك قول أبي ذر مخاطبا عليا عليه السلام حين كان في وداعه : « اني ثقلت على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام ! » (2).

فكما أن كلمة « الحجاز » تشمل كل مدن الحجاز بما فيها المدينة ، كذلك كلمة « الشام » تشمل كل مدن الشام ، بما فيها دمشق ، وبما فيها « جبل عامل ».

ومن الواضح : أنه (رضي اللّه عنه) ، كان في هذه المنطقة ، تحت قبضة معاوية وسلطانه. فصح أن يقال : كان عند معاوية.

1- متن اللغة 4 / مادة : ع م ل / 209.

2- شرح النهج 8 / 254.

تحديد مدة اقامته في الشام

اشارة

النصوص التأريخية ، لا ـ تحدد مقدار إقامته فيها. إلا ما ورد عن كميل بن زياد رحمه اللّه ، قال : « كنت بالمدينة حين أمر عثمان أبا ذر باللحاق بالشام ، وكنت بها في العام المقبل حين سيَّره الى الربذة » (1).

هذه الرواية فقط – اذا صحت – تشير الى ان اقامته فيها استغرقت سنة. أما ما عداها ، فلا يستند إلا الى التخمين والاستنتاجات الخاصة. ومع ذلك ، فان رواية كميل هذه لا يستفاد منها مجموع إقامته في الشام ، بل يستفاد منها : أن المدة ما بين أمر عثمان أبا ذر باللحاق بالشام ، وبين نفيه الى الربذة ، استغرقت سنة.

وعلى هذا ، فلا تنافي بين رواية (الاستيعاب) المتقدمة وهذه الرواية.

وبوسعنا القول الآن : أن اقامة ابي ذر في بلاد الشام ، في مدنها وقراها ، كانت طويلة جدا ، ربما استغرقت أربعة عشر سنة ، وأهم الشواهد على ذلك ، ما يلي :

اولا : رواية الاستيعاب المتقدمة (ص 65) وهي صريحة فيما نرمي اليه ، حيث يقول فيها : « ثم خرج بعد وفاة ابي بكر الى الشام ، فلم يزل بها حتى ولي عثمان ، ثم استقدمه عثمان لشكوى معاوية .. ».

والمعروف أن وفاة أبي بكر كانت في سنة 13 ه. وفي هذه السنة ولي عمر بن الخطاب ، حتى توفي سنة 23 ه ، وفيها بويع عثمان بن عفان (2) ، الى سنة 35 ه (على التقريب) وقد نفى عثمان أبا ذر من الشام الى المدينة ، فالربذة ، في سنة 30 – على ما ذكره ابن الأثير – (3).

1- الغدير 8 / 204.

2- مروج الذهب 2 / 297 / 304.

3- الكامل 3 / 113.

فعلى هذا تكون الفترة ما بين خروج أبي ذر الى الشام ونفيه الى المدينة سبعة عشر سنة. على رواية الاستيعاب !

ثانيا : النصوص التي تتحدث عما أوجده أبو ذر ، – في اقامته تلك – من تغيير في ذهنية المجتمع الشامي ، وصـرفه الناس اليه ، وأخذهم منه الحكم والفتيا واجتماعهم من حوله ، من جهـة ، وميل المعسـكر الذي كان فيه ، اليه من جهة أخرى. الى حدّ حرك في نفس معاوية الخوف من عواقب ذلك. فكتب الى عثمان يحمله اليه. واليك بعض هذه النصوص :

ا – قول حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية : « إن أبا ذر لمفسد عليكم الشام ، فتدارك أهله ، إن كان لك فيه حاجة .. » (1).

ب – كتب معاوية الى عثمان : « إن أبا ذر تجتمع اليه الجموع ، ولا آمن أن يفسدهم عليك ، فان كانت لك في القوم حاجة ، فاحمله اليك .. » (2).

ج – وكتب اليه : « إن أبا ذر قد حرف قلوب أهل الشام ، وبغضك اليهم فلا يستفتون غيره ! ولا يقضي بينهم إلا هو .. ! » (3).

د – قول عثمان لأبي ذر حين طلب الرجوع الى الشام : « انما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها ! أفأردّك اليها !؟ » (4).

ويؤيد ذلك ، كلام ابن بطال المتقدم : « كان في جيش معاوية ميل الى أبي ذر ، فأقدمه عثمان خشية الفتنة ».

1– شرح النهج 8 / 257.
2– مروج الذهب 2 / 340.
3– رجال بحر العلوم 2 / 152.
4– شرح النهج 8 / 260.

إن هـذه النصوص ، تزودنا بالكثير حول (اقامته الطويلـة في بلاد الشام). فقـد كانت اقامته هذه تقضّ مضاجع الحكام آنذاك ، فقد اسـتطاع هذا الصـحابي الجليل ، أن يسـتقطب الاكثرية من الناس ، يعضهم ويرشدهم ، ويذكرهم بأيام اللّه. وينوّه بمقام أهل البيت عليهم السلام ، ومكانتهم وفضلهم ، وما ورد فيهم على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الى غير ذلك مما جلب على معاوية المتاعب ، فكتب فيه الى عثمان.

وهنا سؤال يفرض نفسه :

أترى ، كان باستطاعته أن يقوم بهذه الادوار الخطيرة ، خلال أشهر أو سنة !؟ كما يدعي أكثر الكتَّاب والمؤرخين.

فهل أن تغيير ذهنية مجتمع بكامله ، كان يتعاطف مع الامويين ، ولم يعرف غيرهم ، وتزويده بذهنية جديدة ذات طابع معيَّن ، من السـهولة بمكان ؟؟ كما ربما يتصور البعض.

إن تصور هذا من البعد بمكان.

فان عملية إفساد المجتمع الشامي على معاوية ومن ولاَّه ، لا بد وأنها استغرقت سنين عديدة ، لأن تغيير المرتكزات الذهنية السائدة لدى أي مجتمع كان ، لا يمكن أن يتم في خلال أشهر معدودة.

من هنا ، ومما ذكرنا آنفا ، يسهل علينا الوصول الى الحقيقة التاريخية الهامة التي أغفلها المؤرخون القدماء ، وتكتم فيها كثيرون.

أغفلها المؤرخون ، إما إستخفافا بأهلها ، أو فرقا من الحكام الذين كانوا في زمانهم.

وتكتم فيها كثيرون ، خوفا على دمائهم وأموالهم.

هذه الحقيقة ، هي صـلة التشيع في (جبل عامل) بأبي ذر (رضي اللّه عنه). فان مما توارثه أهل هذا الجبل عن الاباء والاجداد ، أن تشيعهم لمذهب أهل البيت عليهم السلام كان على يد هذا الصحابي الجليل ، عندما كان مقيما في بلاد الشام.

وهنا يجدر بنا أن نستعرض كلمات بعض كبار الباحثين حول هذا الموضوع.

قال السيد الامين في أعيان الشيعة : « ومن المشهور ان تشيع جبل عامل كان على يد أبي ذر ، وأنه لما نفي الى الشام ، وكان يقول في دمشق ما يقول ، أخرجه معاوية الى قرى الشام ، فجعل ينشـر فيها فضائل أهل البيت (عليهم السـلام) فتشـيع أهل تلك الجبال على يده. فلما علم معاوية ، أعاده الى دمشق ، ثم نفي الى المدينة .. ».

ثم قال: وهذا ، وان لم يرد به خبر مسند ، لكنه قريب غير مستبعد (1).

وذكر الشـيخ الوالـد مد ظله في كتابه (جبل عامل في التأريخ) ، كلمات لبعض كبار الباحثين حول هذا الموضوع ، وبدوري أقتطف بعضـا من كلماتهم.

قال الاسـتاذ الشيخ أحمد رضا : « إن التشيع في بلاد الشام هو أقدم منه في كل البلاد ، غير الحجاز. وهذا من العجيب ، أن يقوم أول ركن ، وتنتشر أول دعوة للشيعة في بلاد محكومة لأعدى الناس لهم.

ثم استطرد في كلامه عن أبي ذر ، ونشره مذهب التشيع في بلاد الشام فقال : ثم كان يخرج الى الساحل ، فكان له مقام في قرية الصرفند

1- أعيان الشيعة 16 / 358.

القريبة من صيدا ، ومقام آخر في قرية ميس ، المشرفة على غور الاردن ، وكلتاهما من قرى جبل عامل ، والمقامان الى الآن معروفان ، الى آخر ما قال.

ولقد عقبه الامير شكيب ارسلان ، فقال :

أما كون التشيع في جبل عامل هو أقدم منه في العجم (ايران) بل في كل قطر حاشا الحجاز ، فمن الحقائق التي لا خلاف فيها ، ثم استطرد عارضا ظهور التشيع في ايران ، ثم ذكر انه في العرب وبلاد الشام لم يكن ظاهرا ، وأن الشيعة كانت تستمسك بحبال التقية خوفا على أنفسهم ، ولذا تجد المؤرخين يتجانفون عن نسبة علماء الشيعة الى التشيع .. ثم ذكر حادثة جرت بين الشيخ البهائي وبعض علماء السنة في الشام – راجع.

وقد ذكر الاستاذ الشيخ سليمان ظاهر ما يقرب من كلام صاحبيه ، قائلا : إن قدم التشيع في هذا القطر ، (يعني جبل عامل) يمتد الى خلافة عثمان (رضي اللّه عنه) والى عهد نفي أبي ذر.

ثم عقب سماحة الشيخ مد ظله ، فقال :

هؤلاء أعلام ثلاثة من ثقات أهل الاستقراء والتدقيق ، يشهدون شهادة جازمة بقدم التشيع في بلاد عاملة ، وأنه من عهد نفي أبي ذر الغفاري ، كما يشهدون بسبق تشيع الحجاز.

ثم ذكر كلمة الحر العاملي قدس سره وهو من أعظم الثقات ومن أجلاء أهل زمانه وهو أقدم من هؤلاء جميعا.

كان يقول : إن تشيعهم (يعني العامليين) أقدم تشيع. فقد روي أنه لما مات رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لم يكن من شيعة علي (عليه السلام) إلا أربعة مخلصون : سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، وعمَّار. ثم تبعهم جماعة قليلون إثنا عشر ،

وكانوا يزيدون ويكثرون بالتدريج حتى بلغوا ألفا وأكثر. ثم في زمن عثمان ، لما أخرج أبا ذر الى الشام ، بقي أياما ، فتشيع جماعة كثيرة ، ثم أخرجه معاوية الى القرى ، فوقع في جبل عامل ، فتشيعوا من ذلك اليوم (1) الى آخر ما ذكره.

بعد هذا العرض ، يتضح لنا أن هذا متفق عليه ، لا مكان للغموض فيه. ولكن يمكننا النقاش في عملية الطرح لهذا المضمون ، فنقول :

مما لا شك فيه ، أن أبا ذر (رضي اللّه عنه) هو أول من بذر هذه البذرة الطيبة في جبل عامل (قرى الشام) بفضل إقامته فيها. ولكن إقامته الطويلة الأمد التي استغرقت من عمره سنوات ، والتي كان مرتاحا فيها – على الاقل – بادئ الامر ، كما قدمنا ، لا منفيا. هذا أولا.

وثانيا : انه أقام أولا في قرى الشام خلال هذه المدة الطويلة. بدليل قوله « كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم .. » راجع ص 68. والثغر لا يعني قلب العاصمة ، بل على العكس ، يعني حدود المنطقة التي يمكن للعدو أن ينفذ منها. ثم بعد ذلك – يمكننا القول – بأن معاوية حين خشي منه أن يفسد الناس عليه ، جلبه الى الشام ليكون تحت رقابته ، ورقابة جلاوزته. فلما رأى انه لايكف عن ذلك ، كتب فيه الى عثمان.

أما القول بأن معاوية ، نفاه الى قرى الشام أولا ، ثم جلبه اليه ، فبعيد جدا ، ولا يتلائم مع دهاء معاوية وحذره. إذ كيف يعقل أن ينفيه معاوية من الشام بسبب اثارته الناس عليه ، وهو فيها تحت قبضته وسلطانه ، الى قرى

1- جبل عامل في التاريخ ج 1 / 49 الى 54.

الشام ، النائية عن العاصمة ، والتي يجد فيها أبو ذر حرية أكبر – بطبيعة الحال – ومجالا أوسع لنشر أفكاره ، بعيدا عن الرقباء والجلاوزة ؟؟

ومجمل القول :

فان نسبة التشيع في جبل عامل لأبي ذر الغفاري رضى اللّه عنه مما توارثه أبناء هذه المنطقة ، أباً عن جد ، وحبهم لآل البيت عليهم السلام ، واعتناقهم مذهبهم ، هما الصفة المميزة لأهل هذا الجبل. وعلى مر العصور والاعوام ، وجدنا جبل عامل ، منبتاً لفحول علماء المسلمين من أتباع مذهب أهل البيت ، عليهم السلام ، وستبقى هذه السلسلة الذهبية ، مستمرة لامعة في دنيا الاسلام ، مهما حاول المغرضون ، بترها.

وسيبقى طهر أبي ذر رضى اللّه عنه وشفافية نفسه الزكية ، يطيفان على أهل هذا الجبل ، بركة وخيرا ، وايمانا مستمدا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأهل بيته الميامين.

رحم اللّه أبا ذر حامل مشعل الهداية والكرامة.

رحم اللّه تلك الروح الزاكية التي تشبعت بحب النبي وآل النبي ، حتى فاضت ، وفاضت ، فشملت أهل هذا الجبل (جبل عامل) بالبركات.

الصورة

ص: 81

الفَصْل الثَّاني

اشارة

* بينَ أبي ذَرّ وَعثمان

* حُلمُ الأمَويّين

* الإمَامَة

* في السَّقيفَة

* إثَارَة الفِتَن

* رقَابَة المُسلمين

* فِقدان الهيَبة في خِلافة عثمان

* سيَاسَة عثمان في إختِيار الولاة

* سياستهُ في المال

* معارضة أبي ذرّ

* مَوقف أبي ذَرّ من مُعَاوِية

* ودَاع أهل الشّام لَه

ص: 83

يـا أبـا ذر ! انـك غَضِ بتَ للهِ ، فارجُ مَن غَضِ بتَ له ، إنَّ القومَ خافوكَ على دُنياهم ، وخِفتهم على دِينك ، فاترُك في أيـديِهم ما خافوكَ عليه ، واهرب مِنهم بما خفتهم عليه ! فما أحوَجَهُم الى ما منعتهم ، وما أغناكَ عمَّا منعوك.

الإمام علي عليه السلام

ص: 85

حُلمُ الأمَويّين

حَلم الأمويين طويلا ، بالحكم والرياسة والمجد ، قبل البعثة النبوية المباركة ، لأن المسألة – بنظرهم – لا تعدو المفخارة بالإيلام ، والإطعام ، ونحر الجزر ، على مرأى من الحَكَمِ الذي يختارونه للبتِّ فيما بينهم ، والحكم إمَّا لهم ، وإمَّا عليهم.

لكن هذا الحلم الطويل ، بترته البعثة النبوية المباركة ، فعاد سراباً بِقيعة.

يظهر ذلك ، من خلال ما قاله بعض قادتهم وزعمائهم. قال :

« تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف ، أطعموا فأطعمنا ، وحملوا فحملنا ، حتى اذا تحاذينا على الرُكب ، وكنا كفرسي رهان ، قالوا : منا نبي يأتيه الوحي من السماء ، فمتى ندرك مثل هذا ؟ واللات لا نؤمن به ولا نصدقه » (1).

لقد كانت نبوة محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) مفاجأة رهيبة بالنسبة للفكر العربي المتخلف – آنذاك – كما كانت ضربة قاصمة في صميم العصبية الجاهلية ، لذلك ، رأينا قريشا ، وقد تألبت وأجمعت على حرب النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ومكافحة رسالته ، وان الأمويين – أبناء العم – هم الذين اضطلعوا بذلك ، فكانوا

1- حياة الامام الحسن 1 / 21.

على رأس الحملات المضادة للنبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ولرسالته السمحاء. سيَّما وأنهم يعتبرون أنفسهم غرماء مجد للهاشميين.

وأظهر اللّه نبيه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) على قريش وكافة من ناهضه من المشركين ، فانتصر المسلمون انتصارات متتالية ، انتصر فيها الحق على الباطل ، والخير على الشر ، وأخذ الاسلام يشق طريقه نحو القمة ، ويأخذ مكانه في النفوس ، بروحيته السمحة ، ومبادئه العالية ..

ولا غرو في ذلك ، ولا عجب. فقد استصفى اللّه الانسان من دون سائر مخلوقاته ، واستصفى للانسان دين الاسلام ، فقال تعالى :

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) .

لقد أرسى النبي الكريم (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قواعد الرسالة الكريمة ، وأحكم دعائمها ووطد أركانها وأعاد للانسانية شرفها وكيانها ، بعد أن كانت ضحية أهواء الجبابرة وأرباب السلطان ، من شذاذ الآفاق الذين لا همَّ لهم إلا إشباع رغباتهم ونزواتهم على حساب الضعفاء من عامة الناس.

والتحق ص بربه راضيا مرضيا ، وظل حُلمُ الامويين محالا في قاموس الاسلام ، ولكن ما ان مضت فترة من الزمن وجيزة ، حتى عاد هذا الحلم يراود أهله من جديد ، فقد بدأ يتمطى عن رقدة طويلة ، عادت بعدها آمالهم خضراء مورقة. فها هي إمارات « ملك بني أمية » تلوح من قريب ، بعد ان كانت بعيدة عن دنيا الاسلام.

إنه « الملك » في مفهوم بني أمية و « الخلافة » في مفهوم الاسلام. وما أبعد ما بينهما. إنه كالبعد بين الحق ، والباطل ، خطان متوازيان ، ذاك يدعو الى الجنة ، وهذا يجر الى النار ، وذاك ينصر المظلوم – في اللّه –

وهذا يقرّ الظالم ، وذاك يطارد المفسدين والقتلة ، وهذا يقتل أولاد الأنبياء ، ويمثّل بالأبرار ، ويطارد المؤمنين.

ويأتي السؤال هنا : كيف تسنى لهذه الفئة التي جهدت في حرب الرسول والرسالة ، أن تخلف رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في مقعده ، وأن تتسلط على مقدرات الامة الاسلامية ، زهاء ثمانين سنة ؟!

كيف تسنى لهم استغلال نبوة محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم) للاستيلاء على العالم الاسلامي ، وبسط نفوذهم فيه ، وتحويل الخلافة بالتالي الى ملك عضوض يتوارثه الأبناء ؟ ومن المسؤول عن ذلك ؟

وسواء تجاهلنا الامر ، أو تجاهله غيرنا ، فان ذلك لا يترك لنا مندوحة للتهرب من إدراكنا للظروف الصعبة التي عاشها المسلمون السابقون في فترات مختلفة ، أو التهرب من الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون اليوم بشكل عام ، والذي حدث نتيجة للانحراف القديم.

إن هذا السؤال يفرض نفسه ، ويتطلب منا جوابا واضحا لا إلتواء فيه ، ولا مواربة.

ويجدر بنا – ونحن نتلمس الإجابة عن هذا السؤال – أن نتناول بعض النصوص التأريخية وننظر فيها نظرة تمحيص وتحليل ، نسلط خلالها الأضواء الكاشفة على خفاياها – إن كانت غامضة – ونتأملها طويلا ، فهي تحكي وتجلو لنا حقبة تأريخية معينة ، عاشها المسلمون وتفاعلوا معها، وأوصلتهم بالتالي الى ما وصلوا اليه من تفكك وانهيار ، أفقدهم شخصيتهم المميزة عبر التأريخ.

نتأمل تلك النصوص – بموضوعية وعمق – كي نصل الى نقطة الارتكاز الرابطة بين ما عاناه المسلمون في السابق ، وما يعانونه اليوم ، وبين الاسباب الحقيقية لذلك ، محاولين قدر الإمكان أن نبتعد بضمائرنا

وتفكيرنا ، عن كل الحساسيات ، والتشنجات النفسية ، لنوفر للعقل وحده فرصة الانتصار.

والذي يبدو جليا واضحا ، أن المسلمين الأوائل يتحملون شطرا من المسؤولية حول هذا الامر. لكن من المتيقن ان القيادة بدورها تتحمل الشطر الاكبر من تلك المسؤولية ، اذ إنها كانت محط الثقة الكاملة لدى المسلمين ، ومعقد آمالهم ، فكانوا يرون في الخلافة مصدرا يمدهم بالقوة والثقة اذا ضعفوا أو وهنوا ، ومصدرا تنبعث منه كل الطاقات التي تمكنهم من الثبات والاستمرار ، ويضمن لهم السلامة والرقي ، لذلك ، فانهم كانوا يتركون للخليفة كلمة الفصل في أحرج الظروف ، ويشاركهم هو في ذلك ، ومن ثَمَّ يضحُّون بكل شيء في سبيل انجاح مقرراته طائعين غير مكرهين ، حفاظا على الاسلام.

وهذه الرؤية – بالذات – نجدها قد تبددت في عهد عثمان ، لما لمسه المسلمون من انحراف واضح في مسلكه ، سواء في ذلك مسلكه السياسي مع كبار الصحابة كأبي ذر الغفاري ، وعبد اللّه بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، والأشتر النخعي وأصاحبه.

أو مسلكه المالي ، في اغداقه على المقربين من ذوي رحمه ، وحرمانه الآخرين من أعطياتهم المفروضة.

فنفى أبا ذر الى « الربذة » حتى مات فيها غريبا.

وسيَّر عبد الرحمن بن حنبل صاحب رسول اللّه ، الى القموس من خيبر. وهمَّ بتسيير عمار بن ياسر ، فحال علي (عليه السلام) وبنو مخزوم دون ذلك.

وأمر بعبد اللّه بن مسعود ، فجُرّ برجله ، حتى كسر له ضلعان ، ووطئ جوفه ، حتى صار لا يعقل صلاة الظهر ، ولا العصر ، ومنعه عطائه

– على حد تعبير ابن مسعود (1) – حتى مات.

وسيَّر جماعة من صلحاء الكوفة ، من بينهم مالك ابن الأشتر النخعي وصعصعة بن صوحان وأخوه زيد ، وعدي بن حاتم لكلام جرى بينهم وبين عامله على الكوفة سعيد بن العاص ، فسيَّرهم أولا الى الشام ، ثم بعد ذلك أعادهم ، ثم سيَّرهم الى حمص وكان العامل فيها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، وكان هذا الاخير يغلظ لهم ، فكان من جملة ما يقول لهم : لا أهلا بكم ولا سهلا .. جزى اللّه عبد الرحمن إن لم يؤذكم (2) .. الى غير ذلك.

لقد كانت هذه الفترة ، من أشد الفترات حساسية في الاسلام. فمنها كانت بداية الشر ، فقد كان المسلمون قبلها يلجأون في مخاصماتهم الى الخليفة نفسه للنظر فيها والاستماع الى رأيه العادل في ذلك ، أو – على الاقل – كان يستمع منهم ويأخذ بآرائهم. أما ، وقد اختلت القاعدة ، وانعكست الموازين ، حيث أصبح الخليفة طرفا في الخصومة ، أو منحازا الى فئة معينة ، فانه لم يعد بالامكان ضبط الامور ، ولم تعد مخاصماتهم لتقتصر على الملاسنة والحجاج ، بل تعدتها الى استعمال القوة ، واللجوء الى القتل والفتك.

هذه الفترة الصعبة ، بدأت مواسمها تمرع في السنة السادسة من خلافة عثمان ، فكان مقتله بداية الحصاد ، ثم استمر وطال أعواما وقرونا ، خلَّف فيما بعد الجسم الاسلامي ، جسما هزيلا مفككا ، بعد ان كان صلبا قويا لا تعادله قوة.

ومن هذه الفترة ، تولدت الفترات المظلمة في تأريخ الاسلام ، والتي

1– اليعقوبي 2 / 170 و 173.

2– الغدير : 9 / من 30 الى 46.

وصف بعضـها عمر بن عبـد العزيز بقوله : « الوليـد في الشـام ، والحجـاج في العراق ، ومحمـد بن يوسف في اليمن ، وعثمان بن حيان في الحجاز ، وقرة بن شريك في مصر ، ويزيد بن مسلم في المغرب ، إمتلأت الارض واللّه جورا ! ».

وعلينـا الآن – لكي نقف على حقائق تلك الفترة – أن نسـتعرض النصوص الكافيـة التي تعطينا صورة واضـحة عن مواقف عثمان وسياسـته. وقبل أن نتحدث عن ذلك ، يجدر بنا ان نمر مرورا سـريعا بالظروف التي مهدت لعثمان ، والتي كانت سببا في تسلط الأمويين ، والتي بدأت بعد وفاة النبي صلى اللّه عليه و آله .

ص: 92

الإمَامَة

(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) 28 – 68.

من غير الوارد – بـالمفهوم العقلي – أن تترك أمـة دون قيـادة ، ولا رعايـة ، لأن ذلك سـيؤدي – ولا شك – الى انهيارها ، وترديها في مهاوي المجهول.

والاسـلام دين ونظام لكل الناس على حد تعبير القرآن الكريم : (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا – 34 – 28) فمن الاولى ، أن لا يُترك دون صيانة ورعاية ، بل لا بد وأن يسند الى شخص مَّا من المسلمين – طبعا – ، القيام بهذه المهمة.

وطريق ذلك ، منحصر بالنص عليه ، إما من اللّه تعالى ، أو من النبي المعصوم (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أو الإمام الذي ينصبه النبي.

ويشترط في الإمام ما يشترط في النبي من كونه معصوما عن الخطأ. من هنا ، فان قضية الخلافة – في المفهوم الديني – تأخذ معنى آخر غير المعاني الاخرى المتسالم عليها عند أكثرية المسلمين. فهي تأخذ معنى شرعيا يبقى ضمن « النص ».

فالإمام – بعد النبي – مصدر للتشريع لا يمكن الاستغناء عنه بحال من الاحوال ، فقوله وفعله وتقريره سُنَّة.

وبهذا نادى أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وعلى هذا بنوا كل أمورهم الدينية.

فالدين فوق كل الميول والاتجاهات ، لا يقاس بالعقول ، وصاحب الرسالة أدرى وأعلم بمن يقوم بمهماتها.

أما أن يقوم هـذا الامر على التخمين والظن والاختيارات الشخصـية ، فهذا عين الخطأ ، ولا قاعدة فيه من المشـرع الحكيم. بل القاعدة على عكس ذلك ، قال تعالى :

- (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ فِي ذَلِكَ) .

هذا بالاضافة الى كون النتائج في هذا الحال مجهولة ، ومتى ما كان الامر كذلك ، فان الخسارة حينئذ تكون أقوى في ميزان الاحتمال.

ولا يبعد أن يكون ما حصل للمسـلمين من قبل وما يعانونه اليوم ، إنما هو نتيجة للتصرفات الفردية في هذا الامر الخطير ، فانه منذ أن فقدت القيادة الاسلامية مقوماتها الحقيقية بدأ الكيان الاسلامي يهتز ، ويدخل مراحل الانهيار.

فالملاحظ ، أن الجسم الاسـلامي - بكل أبعاده وأشـكاله - كان ينتقل ضـمن دائرة النمو ، من طور الى طور أكبر ، بشـكل متكامل متين لا يعرف الانتكاس ولا الجمود. وما ذلك إلا بفضل الرعاية الحكيمة من النبي الكريم (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) ، فقد كانت قوة المسلمين تتكامل ، وعـددهم يتزايـد ، بشـكل مسـتمر ملحوظ ، ووحدتهم متينة لا يزعزعها شـيء ، على الرغم من الأخطار التي كانت تحدق بهم ، سواء من بقايا الشرك في الوسط العربي ، أو من المنافقين الذين كانوا بين ظهرانيهم يتربصون بهم الدوائر.

في السَّقيفَة

ما ان التحق الرسول (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بربه ، حتى بدأ العد العكسي يأخذ مجراه. فبدأت النوازع العصبية تبرز على الساحة بكل ما تحمل من أخطار ، تشتت الوحدة ، وتفرق الكلمة ، وهذا ما جرى في سقيفة بني ساعدة ، فقد تنازع المهاجرون والانصار في الامر من جهة ، وثارت ثائرة الاوس والخزرج – التي أطفأ الاسلام نائرتها – من جهة أخرى.

واليك لقطات سريعة عن ذلك – كما في شرح النج :

قال سعد بن عبادة – سيد الخزرج – في خطبته : « فشدوا يدْيكم بهذا الامر ، فانكم أحق الناس ، وأولاهم به ! »

وقال الحباب بن المنذر : « فمنا أمير ومنهم أمير !! »

فقال عمر : « هيهات ! لا يجتمع سيفان في غمد ، إن العرب لا ترضى أن تؤمركم ونبيها من غيركم. ! »

فقام الحباب ، وقال : « لا تسمعوا مقالة هذا وأصحابه ، فيذهبوا بنصيبكم من الامر. »

فلما رأى بشير بن سعد الخزرجي ، ما اجتمعت عليه الانصار من تأمير سعد بن عبادة – وكان حاسدا له – قال : إن محمداًص رجل من قريش ، وقومه أحق بميراث أمره.

ص: 95

فقام أبو بكر ، وقال : هذا عمر وابو عبيدة ، بايعو أيهما شئتم.

فقالا : واللّه لا نتولى هذا الامر عليك .. أبسط يدك حتى نبايعك.

فلما بسط يده ، وذهبا يبايعانه ، سبقهما بشير بن سعد فبايعه. فناداه الحباب بن المنذر : يا بشير ، عقَّك عَقاق (1) واللّه ما اضطرك الى هذا الامر ، إلا الحسد لابن عمك. « يعني سعداً ».

ولما رأت الأوس ، أن رئيسا من رؤساء الخزرج قد بايع ، قام أسيد بن حضير – وهو رئيس الأوس – فبايع حسداً لسعد أيضا ، ومنافسة له ان يلي الامر ، فبايعت الأوس كلها لما بايع أُسَيد.

وحُمل سعد بن عبادة – وهو مريض – فأدخل الى منزله ، فامتنع عن البيعة في ذلك اليوم وفيما بعد (2).

قال البراء بن عازب – وكان خارج السقيفة – في حديث له : فلم ألبث ، واذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر ، وأبو عبيدة ، وجماعة من أصحاب السقيفة ، وهم محتجزون بالأزُرِ الصنعانية ، لا يمرون بأحد إلا خبطوه وقدموه ، فمدوا يده ، فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك ، أو أبى. فانكرت عقلي !

ورأيت في الليل ، المقداد ، وسلمان ، وأبا ذر ، وعبادة بن الصامت ، وأبا الهيثم بن التيهان وحذيفة ، وعمارا ، وهم يريدون أن يعيدوا الامر شورى بين المهاجرين (3).

هذه صورة مختصرة أخذناها من شرح النهج ، وفيها تعبير واضح عن الطريقة التي استخدمت في عقد البيعة لأبي بكر ، وانها لم تكن عن طريق الاختيار – كما يدعى – بل تدخَّل فيها عنصر القوة والإجبار.

1- من العقوق : وهو شق عصا طاعة الوالد وكل ذي رحم.

2- شرح النهج 6 / من ص 6 الى 10.

3- نفس المصدر 1 / 219 / 220.

إثَارَة الفِتَن

ولكن مع ذلك ، فان الفتنـة لم تنته بعـد ، فقد كانت خيوطها تنسج في أقبية النفاق والضـلال من قبل أدعياء الاسـلام ، فقد حاولوا غير مرة ، جاهدين ، في إشعالها.

من ذلك : أن أبا سفيان أقبل الى علي (عليه السلام) قائلا له :

« اني لأرى عجاجـة لا يطفئها إلا دم ، يا آل عبد مناف ، فيم يلي أبو بكر من أموركم ؟ أين المستضـعفان أين الأذلاّن عليّ والعباس ؟ ما بال هذا الامر في أقل حيّ من قريش ؟ »

ثم قال لعلي (عليه السـلام) : أبسط يدك أبايعك ، فواللّه لئن شـئت ، لأملأنها عليه خيلا ورجِلا. فأبى علي عليه السـلام . « وقال : إنك تريد أمرا لسنا من أصحابه ، وقد عهد الي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) عهدا ، فأنا عليه » (1).

فتمثل أبو سفيان بشعر المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به *** إلا الأذلاّن عير الحي والوتد

هذا على الخسف معكوس برمته *** وذا يشج فلا يبكي له أحد

1- هذه الفقرة موجودة في شرح النهج 6 / 18.

فزجره علي (عليه السلام) ، وقال : واللّه إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وانك واللّه طالما بغيت للاسلام شرا. لا حاجة لنا في نصيحتك (1).

لقد كان هذا الرد طبيعيا من الإمام علي (عليه السلام) أخ النبي ، ووصيه ، ووزيره - كما ورد عن النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) - فلقد كان (عليه السلام) يرمي من وراء ذلك الى الحفاظ على وحدة المسلمين ووحدة كلمتهم ليبقى الاسلام ويستمر في مسيرته.

وحاول آخرون إيقاع الفتنة بين المهاجرين والانصار مرة ثانية ، فكان أمير المؤمنين علي عليه السلام يقف سدا منيعا في وجوههم ، لا يترك لهم في ذلك فرصة تمر.

فقد حاول عمرو بن العاص من خلال كلام قاله في محضر من المهاجرين والانصار ، أن يثير حفيظة المهاجرين على الانصار ، حيث انتقص من مكانتهم ، وأتهمهم بأنهم : إنما أووا النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) طمعا بالملك أو الإمرة من بعده. وفي ذلك يقول :

تمنيتم الملك في يثرب *** فأنزلت القدر لم تنضج

في أبيات ، أجابه عليه فيما بعد ، شاعر الأنصار ، النعمان بن العجلان : بعد كلام له ، منها :

فقل لقريش نحن أصحاب مكة *** ويوم حنين والفوارس في بدر

وكان هواناً في عليّ وإنه *** لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري

وعاود بن العاص الكرة ، بتحريض من سفهاء قريش ،

1- الكامل 2 / 326 وفي الطبري 3 / 202.

فبلغ الخبر علياً (عليه السلام) ، فغضب ، وشتم عَمراً ، وقال : أذى اللّه ورسوله.

ثم قام ، فأتى المسجد ، فاجتمع إليه كثير من قريش ، وتكلم مغضبا فقال :

« يا معشر قريش ، إن حُبَّ الانصارِ ، إيمان ، وبغضهم نفاق ، وقد قضوا ما عليهم ، وبقي ما عليكم ، واذكروا أن اللّه رَغِب لنبيكم عن مكة ، فنقله الى المدينة ، وكرِهَ له قريشاً ، فنقله الى الانصار ، ثم قد منا عليهم دارَهُم ، فقاسمونا الاموالَ ، وكفونا العمل ، فَصِرنا منهم بين بذل الغني ، وايثار الفقير ، ثم حاربَنا الناس ، فوقونا بأنفسهم ، وقد أنزل اللّه تعالى فيهم آية من القرآن ، جمع لهم فيها بين خمس نِعَم فقال : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) 58 – 9.

ألا ـ وان عمرو بن العاص قد قام مقاماً أذى فيه الميت والحي ، ساء به الواتر ، وسر الموتور ، فاستحق من المستمع الجواب. ومن الغائب المَقت ، وانه : مَن أحب اللّه ورسوله ، أجب الأنصار ، فليكفف عمرو عنا نفسه.

فمشت قريش عند ذلك الى عمرو بن العاص ، فقالوا : أيها الرجل ، أما اذا غضب عليّ فاكفُف.

وقال حسان بن ثابت في ذلك أبياتاً ، منها :

جزى اللّه عنا والجزاء بكفِّه *** أبا حسن عنا ومن كأبي حَسَنْ

سبقت قريشاً بالذي أنت أهله *** فصدرك مشروح وقلبُكَ ممتحنْ

وترك عمرو بن العاص المدينة ، وخرج عنها حتى رضي عليّ والمهاجرون (1).

ولم يقف الامر عند هذا الحد ، فقد أخذت أخطار الرِدَّة تهدد المسلمين ، فكان ما كان من أمر مسيلمة الكذاب ، وطليحة النمري ، وسجاح ، وبقايا فلول الشـرك في شـبه الجزيرة العربية ، فوقعت معارك بينهم وبين المسلمين إستشهد فيها من المسلمين عدد كبير. ففي وقعة اليمامة وحدها خسر المسلمون « من المهاجرين والانصار من أهل المدينة ، ثلاثمائة وستين ، ومن غير المدينة ثلاثمائة رجل » (2).

1- شرح النهج 6 / 30 الى 35.

2- الكامل 2 / 365.

رقَابَة المُسلِمين

لقد كان المسلمون الأوائل يراقبون عن كثب ، سلوك الخليفة ، وتحركاته وتصرفاته ، سواء في ذلك ما تعلق به شخصياً ، من حسن السيرة ، وإحقاق الحق والحكم بين الناس بالعدل ، أو ما يتعلق بالمسلمين بشكل عام ، كالمساواة في العطاء – إلا ما أمر اللّه – وحُسنِ إختيار الولاة من أهل الكفاءة والدين والعدالة وما الى ذلك. وهذا هو الذي أعطى الخلافة هيبتها ، وضمن لها الاستمرار فترة ما.

فكان المسلمون لا يألون جهدا في تقويم ما أعوج ومالَ عن خط الاسلام ، قدر الإمكان ، فكانوا يستنكرون التصرفات الشاذة ، ويعلنون احتجاجهم عليها ، بل ربما استعملوا العنف حين لا تنفع الكلمة ، كما جرى بين أبي بكر وعمر بشأن خالد بن الوليد حين قتل – هذا الأخير – مالك بن نويرة ، ودخل بامرأته ليلة مقتله. فقد احتج عمر على ابقاء خالد في قيادة الجيش ، وحين رأى أن أبا بكر يعتذر عنه ، بأنه « ما أول من تأوَّل فأخطأ » نهض اليه عمر بنفسه ، – وكان خالد قد دخل المسجد ، وقد غرز في عمامته أسهما – فنزعها عمر وحطمها ، ثم قال له « قتلت إمرء مسلما ، ثم نزوت على إمرأته واللّه لأرجمنك بأحجارك ». (1)

1- الكامل 2 / 359.

وقد أفسح أبو بكر المجال أمام الصحابة ، في إلفاته ، وتنبيهه على أخطائه ، وذلك ، حين قال في خطبته بعد السقيفة :

« وَليت أمركم ولست بخيركم ، فاذا أحسنت فأعينوني ، واذ أسأت فقَوِّموني ، إن لي شيطاناً يعتريني ، فاياي واياكم اذا غضبت .. الخ » (1).

وجاء عهد عمر بن الخطاب ، وتولى زمام الامور بعد أبي بكر - بوصية وعهد منه - وذلك : أنه حين مرض أبو بكر مرض الموت ، أحضر عثمان بن عفان ، فقال له :

إكتب ، بسم اللّه الرحمن الرحيم ، هذا ما عهده أبو بكر بن أبي قحافة الى المسلمين ، ثم أغمي عليه ، فكتب عثمان : أما بعد فاني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب ، ولم آلكم خيرا ، ثم أفاق أبو بكر ، فقال : إقرأ علي ، فقرأ عليه ، فكبر أبو بكر وقال : أراك خفت أن يختلف الناس إن مِتّ في غشيتي .. » (2).

وسار عمر بسيرة صاحبه ، إلا أنه كان كثير الفتيا ، وكثير الخطأ ، على حد تعبير ابن أبي الحديد ، قال : « وكان عمر يفتي كثيرا بالحكم ثم ينقضه ويفتي بخلافه ، قضى في (مسألة) الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ، ثم خاف من الحكم في هذه المسألة .. » (3).

إلا أن وجود الإمام علي عليه السلام في المدينة - آنذاك - كان يساعد الخليفة ، وكل المسلمين على حل ما يستعصي لديهم من الامور المتعلقة بالحكم أو الفتيا ، فكان المسلمون يرجعون اليه في ذلك ، ويأخذون منه.

1- شرح النهج 6 / 20.
2- الكامل 2 / 425.
3- شرح النهج 1 / 181.

فكان سيد الميدان في هذا المضمار ، والمرجع الوحيد الذي لا ينازعه أحد من المسلمين.

وأصرح ما يدل على ذلك ، قول عمر بن الخطاب ، في أكثر من مناسبة :

« كاد يهلك ابن الخطاب ، لولا علي بن أبي طالب ».

وقوله : « أعوذ باللّه أن أعيش في قوم لستَ فيهم أبا الحسن ».

وقوله : « اللّه أعلمُ حيث يجعلُ رسالته ».

وقوله : « اللّهم لا تنزل بي شديدة ، إلا وأبو الحسن الى جنبي » (1).

لقد كان علي عليه السلام والمخلصون من الصحابة ، يبدون النصيحة ، ولا يألون جهداً في ذلك ، وهذا هو الذي ضمن للخلافة هيبتها في تلك الفترة. فمن الواضح أن هيبة الخلافة في عهد عمر ، بلغت الى حد ، أن الدرة (السوط) كانت أمضى من السيف في حل الخصومات ، حتى قيل : درَّة عمر أهيب من سيف الحجاج.

والحقيقة أن الهيبة لم تكن إلا لتكاتف المسلمين ووحدتهم وحيطتهم على الاسلام.

1- راجع الغدير 6 / 103 الى 106.

فِقدَان الهيبَة في خِلافَة عُثمان

ويلاحظ المتتبع ، أن الخلافة بدأت تفقد هيبتها – كسلطة زمنية ودينية – في السنة الثانية من خلافة عثمان ، وأخذت تتحول الى سلطة زمنية فحسب ، تقوم على القوة ، والقهر ، والإغراء بالمال ، بعيداً عن طابعها الحقيقي.

فقد بدأ الأمويون يهيئون لهذه الخطة منذ اليوم الاول لخلافة عثمان ، وذلك ، عن طريق نفوذهم في الحكم ، حيث أصبح زمام السلطة بأيديهم يوجهونه أنى شاؤا ، دون أن يجرأ على معارضتهم في ذلك أحد ، واذا ما حاول بعض المخلصين من الصحابة ذلك ، وجدوا في الخليفة حاجزاً يحميهم ، ويداً طولى تساعدهم على تنفيذ مخططاتهم.

نعم ، بدأت فكرة التحويل من اليوم الاول لخلافة عثمان ، ويبدو ذلك واضحاً من خلال ما قاله بعض أقطاب الامويين في أكثر من مناسبة.

روى الشعبي ، قائلا : « فلما دخل عثمان رحله – يعني بعد البيعة – دخل اليه بنو أمية حتى امتلأت بهم الدار ، ثم أغلقوها عليهم ، فقال أبو سفيان بن حرب (وكان أعمى) : أعندكم أحد من غيركم ؟ قالو : لا. قال : يا بني أميَّة ، تلقفوها تلقف الكرة ، فوالذي يحلف به أبو سفيان ، ما من

عذاب. ولا حساب. ولا جنة ، ولا نار ، ولا بعث ولا قيامة » (1).

وقصد مرة قبر حمزة أسد اللّه وأسد رسوله ، فلما وصل اليه « ركله برجله ، وقال : يا أبا عمارة ، إن الامر الذي اجتلدنا عليه بالسيف ، أمسى في يد غلماننا يتلعبون به » (2).

وفي السنة الثانية من خلافته ، مورست خطة التحويل عمليا ، فبالاضافة الى الهبات والقطائع الضخمة التي كان يمنحها الخليفة الى المقربين - كما ستقرأ - ، كان الولاة من بني أمية يستغلون منصب الولاية لتكريس مقدرات الامة لمصالحهم الشخصية ويتصرفون مع المسلمين من هذا المنطلق المنحرف عن الخط الاسلامي ، فكان بعضهم يرى أن الفيئ الذي أفاءه اللّه على المسلمين إنما هو بستان لقريش ليس لأحد دونها حق فيه ، كما قال سعيد بن العاص والي الكوفة مخاطبا بعض جلسائه (3).

بل أكد ذلك الوليد بن عقبة بقوله ، مخاطبا سعداً : « لا تجزعنَّ أبا إسحاق ، كل ذلك لم يكن ، وانما هو الملك ، يتغداه قوم ، ويتعشاه آخرون ! » (4).

قالها الوليد حين ولي إمارة الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقاص عنها.

وبذلك ، يتضح أن خلافة عثمان كانت فرصة لانقضاض الأمويين على مقدرات الامة وأرزاقها ، ولو لا يقظة بعض أقطاب المسلمين وحذرهم ، لتم

1- شرح النهج 9 / 53.
2- حياة الامام الحسن 1 / 212 نقلا عن ابن عساكر 6 / 407.
3- راجع الكامل 3 / 139.
4- الكامل 3 / 83.

لهم ذلك بسرعة ، لكن المعارضة المستمرة كانت تحول دون ذلك – جزئياً – معارضة أبي ذر الغفاري وأمثاله.

ولو أن عثمان تقبل من مخلصي الصحابة ما كانوا يلفتونه اليه ، ويحذرونه منه ، لما انتهى الأمر الى ما انتهى ، ولظلت الخلافة الاسلامية في مركزها وهيبتها، فان إفراطه في التغاضي عن سلوك ولاته والمقربين منه كانت نتيجته : فقدان هيبة الخلافة في أيامه.

ص: 106

سيَاسَة عُثمان في إختِيَار الوُلاة

اشارة

لقد اختار عثمان الولاة والعمال الاداريين ، على غير القاعدة المتعارفة لدى المسلمين ، ولدى من سبقه من الخلفاء.

فالمعروف ، أن القاعدة التي ينطلق منها هذا الاختيار ، تبتني على أسس بعيدة عن منطق القرابة ، والرحم ، والعشيرة ، بل ترتكز على دعائم اسلامية ، يجمعها التقى والصلاح ، وحسن الادارة والأمانة ، فالولاية لا تعدو كونها ممثلية صغرى للخلافة التي هي أول ممثلية – في المفهوم الاسلامي – لرسول اللّه صلى اللّه عليه و آله . لذلك ، فان اختيار الولاة كان ينصبّ على ذوي السابقة في الدين ، والجهاد في الاسلام.

والملاحظ ، أن عثمان خالف القاعدة في ذلك ، فاختار أقاربه ، وذوي رحمه ممن كانوا متهمين في دينهم ، بل كان فيهم من أمره في الفسق معروف مشهور.

فمن هؤلاء الولاة :

1 – عبد اللّه بن سعد بن أبي سرح : ولاَّه عثمان على مصر.

وكان عبد اللّه هذا ، قد أسلم وكتب الوحي لرسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، فكان أذا أملى عليه : عزيز حكيم. يكتب : عليم حكيم ، وأشباه ذلك. ثم ارتد ، وقال لقريش : إني أكتب أحرف محمد في قرآنه حيث شئت ، ودينكم خير من دينه.

فلما كان يوم الفتح ، فرَّ الى عثمان بن عفان ، وكان أخاه من الرضاعة ، فغيبه عثمان حتى اطمأن الناس ، ثم أحضره عند رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وطلب له الأمان ، فصمت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) طويلا ، ثم أمَّنه ، فأسلم وعاد ، فلما انصرف ، قال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لأصحابه : لقد صَمَتّ ليقتله أحدكم .. » (1)

2 - معاوية ابن أبي سفيان :

وكان عاملا لعمر على دمشق والاردن ، فضمَّ اليه عثمان ولاية حمص وفلسطين والجزيرة ، وبذلك مدَّ له في أسباب السلطان الى أبعد مدى مستطاع (2). وأمر معاوية واضح غير خفي.

3 - الوليد بن عقبة :

ولاه عثمان الكوفة سنة 25 للهجرة. والوليد هذا ، هو الذي وصفه القرآن الكريم بالفسق. ففيه نزلت الآية الكريمة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) وكان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قد بعثه في صدقات بني المصطلق، فخرجوا لاستقباله ، فظن انهم أرادوا قتله ، فرجع الى النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وأخبره انهم منعوا صدقاتهم ، الخ .. » (3)

وقد ولاه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن ابي وقاص ، فالتفت الوليد الى سعد مسلياً اياه ، قائلا له : « لا تجزعن أبا اسحاق كل ذلك لم يكن وانما هو الملك يتغداه قوم ، ويتعشاه آخرون ».

قال المسعودي : ثم عزله عثمان فيما بعد ، لما شاع وذاع من فسقه ، فقد كان يشرب مع ندمائه ومغنيه الى الصباح. وذات يوم آذنه المؤذنون

1- الكامل 2 / 249.

2- ثورة الحسين / 40.

3- مجمع البيان 9 / 132 / الحجرات.

بصلاة الصبح ، فخرج متفضلا في غلائله ، فتقدم الى المحراب ، فصلى بهم الصبح أربعاً ، وقال أتريدون أن أزيدكم ؟

فقال له بعض من كان في الصف الاول خلفه : ما تزيد ؟ لا زادك اللّه من الخير ، واللّه لا أعجب إلا ممن بعثك الينا والياً وعلينا أميراً .. » (1) الى آخر الحكاية.

4 - سعيد بن العاص :

عيَّنه عثمان والياً على الكوفة ، بعد أن عزل الوليد عنها ولم يكن سعيد ، ليخفي ما في نفسه من الرغبة في التسلط على فيئ المسلمين إن امكنت الفرصة من ذلك. بل أكد على ذلك بقوله لبعض جلسائه : « انما هذا السواد بستان قريش » (2).

5 - عبد اللّه بن عامر بن كريز :

وكان عبد اللّه هذا من أبرز الدعاة الى سياسة التضييق والافقار والاشغال ، التضييق على المسلمين الذين نادوا مطالبين عثمان بالعدالة ، ورفع الجور ، وعزل العمال.

فقد أشار على عثمان بذلك حين استشاره ، بقوله : « أرى لك يا أمير المؤمنين ، أن تشغلهم بالجهاد عنك ، حتى يذلوا لك ، ولا يكون هِمَّةُ أحدهم إلا في نفسه ، وما هو فيه من دُبُر دابته وقُمَّل فروته .. » (3).

1- مروج الذهب 2 / 334.

2- للتفصيل راجع الكامل 3 / 139.

3- نفس المصدر / 150.

سَياستهُ في المَال

يصف المؤرخون عثمان ، بأنه كان جوادا وصولا بالأموال. وقـدم أقاربه وذوي أرحامه على سائر الناس. وسوَّى بين الناس في الأعطية. وكان الغالب عليه مروان بن الحكم ، وأبو سفيان بن حرب (1).

وان تقريبه بني أميـة وتقديمه اياهم على سائر المسـلمين ، كان سـببا في جرأة بعض الصـحابة عليه. حتى ان بعضـهم وصـمه بالكذب على مرأى ومسـمع من حشود المسـلمين ، حين كان يخطب لصـلاة الجمعة. فقد أقبل عبد اللّه بن مسـعود – خازن بيت المال – فقال مخاطبا المسلمين :

« أيها الناس ، زعم عثمان أني خازن له ولأهل بيته ، وانما كنت خازنا للمسلمين ، وهذه مفاتيح بيت مالكم .. » (2).

« ولو كانت هذه الهبات من أمواله الخاصة ، لما أثارت اعتراض أحد ، ولكنها كانت من بيت المال » (3).

فقد ورد في حديث عبد الرحمن بن يسار قوله : « وكان عثمان اذا أجاز أحدا من أهل بيته بجائزة ، جعلها فرضا من بيت المال » (4).

1- اليعقوبي 2 / 173.

2- نفس المصدر – 169.

3- ثورة الامام الحسين / 36.

4- اليعقوبي 2 / 168.

اغداقه على الأمويين

ومجمل القول ، فان هبات عثمان لاقربائه وذوي ارحامه ، بلغت حدا بفوق الوصف ، ولا سيما بالمقايسة مع طبيعة المجتمع الاسلامي آنذاك.

وعلى سبيل المثال ، نذكر بعض النصوص التي تعطينا صورة مجملة عن ذلك.

1 – « أرجع الحكم : – طريد رسول اللّه – من منفاه ، ووصله بمائة ألف ».

2 – اقطع مروان بن الحكم : فدك ، وكانت فاطمة عليهاالسلام طلبتها بعد وفاة أبيها (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بدعوى الميراث تارة ، وآخرى بالنحلة ، فدُفعت عنها.

3 – أعطى عبد اللّه بن أبي سرح : – أخاه من الرضاعة – جميع ما أفاء اللّه على المسلمين من فتح افريقية ، من غير أن يشركه فيه أحد.

4 – افتتحت ارمينية : في أيامه ، فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان.

5 – زوّج ابنته عائشة : من الحرث بن الحكم بن العاص ، فاعطاه مائة ألف درهم.

6 – زوج ابنته : من عبد اللّه بن خالد بن أسيد ، وأمر له بستماية ألف درهم ، وكتب الى عبد اللّه بن عامر أن يدفعها اليه من بيت مال البصرة.

7 – حمى المراعي : حول المدينة كلها ، من مواشي المسلمين كلهم إلا عن بني أمية.

8 – والاغرب من ذلك : « أن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) تصدق على المسلمين بموضع سوق بالمدينة يعرف ب « مهزور » فأقطعه عثمان للحرث بن الحكم أخي مروان.

ص: 111

9 – أعطى أبا سفيان : بن حرب مائتي ألف من بيت المال ، في اليوم الذي أمر فيه لمروان بن الحكم بمائة ألف من بيت المال (1).

10 – قدمت ابل : الصدقة على عثمان ، فوهبها للحرث بن الحكم.

وكان عثمان يقول في ذلك « هذا مال اللّه اعطيه من شئت ، وأمنعه من شئت فأرغم اللّه أنف من رغم » ويقول : « لنأخذنّ من ذلك حاجتنا ، وان رغمت أنوف أقوام » (2).

تقريبه لذوي النفوذ والثراء

لم تقتصر هبات عثمان على آله وذوي رحمه ، بل شملت المبرزين في قريش من ذوي النفوذ ، وخصوصا بعض أعضاء الشورى ، الذين امتدت أعناقهم الى الخلافة ، فزرعت في نفوسهم نوعا من الشعور بالحرمان ، يقابله نوع من الطموح الى الحكم ، فكان عثمان يغدق عليهم من بيوت الاموال.

بالاضافة الى ذلك ، فقد سهل لهم تنمية هذه الثروات « فقد قام باجراء مالي فتح به للطبقة الثريَّة أبوابا من النشاط المالي ، وأتاح لها فرص التمكين لنفسها وتنمية ثرواتها ، وذلك ، حين اقترح أن ينقل الناس فيئهم من الارض الى حيث أقاموا ، فمن كان له أرض في العراق أو الشام أو في مصر ، له أن يبيعها ممن له أرض بالحجاز ، أو غيره من بلاد العرب.

وقد سارع الاثرياء الى الاستفادة من هذا الاجراء ، فاشتروا بأموالهم المكدسة أرضين في البلاد المفتوحة ، وبادلوا أرضهم في الحجاز ، أرضين في البلاد المفتوحة ، وجلبوا لها الرقيق والاحرار ، يعملون فيها ويستثمرونها ،

1- شرح النهج 1 / 198 – 199 والغدير 8 / 267 الى 280.

2- الغدير 8 / 281.

وبذلك نمت هذه الثروات نموا عظيما وازدادت هذه الطبقة الطامحة الى الحكم ، والطامحة الى السيادة قوة الى قوتها » (1).

ونذكر من اولئك النفر الذين صار اليهم مال عظيم وثراء فاحش في عهد عثمان.

1 – الزبير بن العوام : أحد أعضاء الشورى.

« ترك احدى عشرة دارا بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، ودار بالكوفة ، ودارا بمصر ، وكان له أربع نسوة ، فأصاب كلَّ إمرأة بعد رفع الثلث (مليون ومائتا الف) قال البخاري : فجميع ماله : خمسون ألف ألف وثمانمائة الف الخ .. » (2).

وقال المسعودي : وخلف الزبير ألف فرس ، وألف عبد وأمة (3) ..

2 – طلحة بن عبيد اللّه التيمي : أحد أعضاء الشورى أيضا.

كانت غلته من العراق كل يوم ألف دينار. وترك ما قيمته ثلاثين مليون درهما (4).

3 – عبد الرحمن بن عوف الزهري : أحد اعضاء الشورى.

قال ابن سعد في طبقاته : ترك عبد الرحمن الف بعير ، وثلاثة آلاف شاة ، ومائة فرس ترعى بالبقيع ، وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضحاً. وقال : وكان فيما خلفه : ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه ، وترك أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ثمانون ألفا.

1– ثورة الحسين – بتصرف 36 – 37.

2– الغدير 8 / 282 نقلا عن صحيح البخاري.

3– المسعودي 3 / 333.

4– الغدير 8 ص 484 نقلا عن الطبقات لابن سعد 3 / 96 و 3 / 105.

4 – سعد بن ابي وقاص : ترك يوم مات ، مائتين وخمسين ألف درهم ، ومات في قصره بالعقيق (1).

5 – زيد بن ثابت : خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الاموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار.

6 – يعلي بن منية : خلف بعد موته خمسمائة ألف دينار ، وديونا على الناس ، وعقارات ، وغير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار.

قال المسعودي : وهذا باب يتسع ذكره ، ويكثر وصفه فيمن تملك من الاموال في أيامه (2).

هـذه لمحة سـريعة عن سـياسة عثمان ، حيال المال ، ونهجه في اختيار الولاة ، وتقريبه للامويين ، وفتحه المجال أمامهم ، وأمام غيرهم من خاصته للوصول الى مراكز النفوذ في الدولة الاسلامية.

قال العقاد : فكانت له نظرة للامامـة ، قاربت أن تكون نظرة الى الملك ، وكان يقول لابن مسـعود – كلما ألـحَّ عليه في المحاسـبة – « مالك ولبيت مالنا ؟ » وقال في خطبته الكبرى ، يرد على من أخذوه بهباته الجزيلة .. « فضل من مال ، فلِم لا أصنع في الفضل ما أريد ، فلِمَ كنت إماما. ؟ » (3)

في قبال هذه الفئة المتخمة من الناس ، كانت هناك فئة أخرى من خيرة الصحابة حرمهم عثمان من عطائهم ، كأبي ذر ، وعبد اللّه بن مسعود (رضي اللّه عنه). ونقم عليهم عثمان ، لأنهم كانوا صريحين في جنب اللّه ، لا تلومهم في اللّه لومة لائم ، فشرَّد الاول ، وكسر أضلاع الثاني.

1- الغدير 8 / 284.

2- المسعودي 3 / 333.

3- عثمان 211 / 212.

معَارضَة أبي ذرّ

إن هـذا الانحراف الواضح في سـياسة عثمان ، هو الذي فتح عليه أبواب المعارضة في عدة جبهات. في المدينة ، والشام ، ومصـر ، والعراق ! ومن أجلاَء الصحابة وعظمائهم.

فقـد ألزمتهم هـذه السـياسة بالتحرك المعاكس لها ، أملا في ارجاع الحق الى نصابه. وتـداركا لما قد تسـببه من نتائج خطيرة على المجتمع الاسلامي كافة.

وهم – مع هذا كله – كانوا لا يتوانون في إسداء النصـيحة للخليفة ، واضعين في حسابهم وحدة المصير. لكنه كان لا يلتفت اليهم ، ولا الى نصائحهم ، بل يقابلهم بأسـلوب خشن ، في حين كان يصـغي لمروان بن الحكم ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية ، واضـرابهم من المنحرفين وممن أمرهم في الاسلام واضح.

لقـد كان أبو ذر (رضـي اللّه عنه) من جملـة أولئك المخلصـين ، فلم يتلكأ في ابـداء النصـيحة لعثمان بل كان يجهد في ذلك ، فيصارحه ، ويصارح غيره من ولاته بما أحدثوه وبدَّلوه في مسرى الخلافة الاسلامية ، وحرفهم إياها عن الطريق المميز لها.

ص: 115

يظهر هذا من قول ابي ذر له : « نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك – يعني معاوية – فاستغشني » (1).

لكن الطرف الثاني ، كان يعير لهذه النصائح أذنا صمَّاء. ويتمادى في سياسته تلك غير آبه ولا مكترث بما يجري من حوله. واذا أراد أن يجيب في بعض الاحيان ، فانه يرمي من ينصحه ، بالكذب والافتراء تارة ، وبتدبير المكائد وشق عصا الامة ، تارة أخرى ! الى غير ذلك مما يبعث في نفس الناصح نوعا من الشعور باليأس ، والاشمئزاز ، والفشل في مهمته الاصلاحية ، فيجعله مضطرا للمجاهرة بقول الحق ، في كل مناسبة. وكل مكان ، بوحي من ضرورة وجوب : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو من ركائز الاسلام ومقوماته.

وهذا ما حصل فعلا لأبي ذر مع عثمان حين أمعن بالاستمرار في سياسته.

لقد جاهر أبو ذر (رضي اللّه عنه) بمعارضته للولاة والمقربين ، وكشف أوراقهم ، غير خائف ولا مكترث.

وفي هذه المرحلة ، نرى أبا ذر (رضي اللّه عنه) قد اتصف بصفة مميزة عن باقي الصحابة حول هذا الامر. يصح لنا تسميتها بصفة : الاقحام. فهو في دوره هذا ينسى نفسه بعض الاحيان ، فيتحرر من الذات وعلائقها ، ومن كل تقاليد محيطه ، ويقحم نفسه ليحرر كلمته ، فكانت المناسبات منبرا له ، منبرا حرا غير مقيد بزمان ولا بمكان ، وكانت كلمته ، الكلمة الجريئة التي لا تعرف الوجل ، ولا الرياء ، ولا المداهنة. كان يقولها في الطرقات وفي الشوارع وبين الناس ، وعلى أبواب قصر الخضراء ، يقولها ، حفاظا لعهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وحيطة على الاسلام.

1- شرح النهج 8 / 259.

قال ابن ابي الحديـد : « إن عثمان لما أعطى مروان وغيره بيوت الاموال ، واختص زيـد بن ثابت بشـيء منها ، جعل أبو ذر يقول بين الناس ، وفي الطرقات ، والشوارع : بشـر الكانزين بعـذاب أليم ! ويرفع بذلك صوته ، ويتلو قوله تعالى : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ) (1).

وهـذه الآية إنما تندد وتتوعد فئة معينة من أصـحاب الثروة. وهم الذين يجمعونها من طرق غير مشـروعة ، كالذين كانوا يأخذون ما أفاء اللّه على المسلمين ، ويستأثرون به دون غيرهم ، في عهد عثمان ، بأرقام خيالية ، كما عرفنا. أو الذين يأخذونها عن طرق مشروعة – كالكسب – ولكن لا يؤدون زكاتها المفروضة.

فقد ورد عن النبي (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) لما نزلت هذه الأية. قال : « كل ما يؤدي زكاته فليس بكنز ، وان كان تحت سـبع أرضـين ، وكل مال لا يؤدى زكاته ، فهو كنز ، وان كان فرق الارض (2).

وقد ذكر البخاري هذه الآية في كتاب الزكاة (3).

وأبو ذر ، رضـى اللّه عنه ، أكرم مقاما وأعلى شأنا من أن يتخذ مذهبا معينا في المال ، في قبال ما هو ضروري في الاسلام – كما يدعي بعض المؤرخين – كيف وهو نفسه كان يمتلك الشياه والمواشي ، ويأخذ عطاءه كل سنة والبالغ أربعمائة دينار ذهباً. ؟

إذن كان تكريره لهذه الآية على سبيل إلفات المسؤولين – آنذاك –

1– المصدر السابق / 256.

2– الميزان 9 / 256.

3– البخاري / باب اثم مانع الزكاة 2 / 110.

الى أن ما جمعوه أو أعطوه على حساب بقية المسلمين ، انما هو جريمة في حقهم. وأنهم سيلقون جزاءهم العادل يوم القيامة.

وقد كان أبو ذر في سعة من ابداء هذا النقد الصريح القاسي الذي يسبب له عيشا ضنكا في ظل سُخط الخليفة والمقربين من حوله ، وظلَّ تهديداتهم إياه بالفقر أو القتل ، على حد تعبيره : « إن بني أمية تهددني بالفقر والقتل (1) .. فقد كان بوسعه أن يحظى بكل ما يتمناه من التكريم والعطاء والقرب لدى عثمان ، لكنه مع هذا ، كان يجد في هذه السعة ضيقا ، وحرجا عليه يلزمانه بقول الحق ، وان كان مُرَّاً ، ففضَّل الضيق في الحق ، على السعة في الباطل ، وفضَّل أن يرضي اللّه بسخط عثمان وغضبه ، ولا يغضب اللّه تعالى برضا عثمان.

وكانت أقوال أبي ذر تبلغ عثمان ، فيسكت ، ويغضي حيث لا مناص عن السكوت والإغضاء وما عساه أن يفعل مع صحابي من ذوي السابقة في الدين مشهود له بالفضل على لسان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أيمنعه عن قراءة القرآن ، والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ؟

كيف ، وفي منعه له عن ذلك تعدّ واضح على أحكام الاسلام سوف يفتح عليه أبوابا جديدة من المعارضة.

قال ابن ابي الحديد : ثم أنه أرسل اليه مولى من مواليه : أن انته عما بلغني عنك !

فقال أبو ذر : أينهاني عثمان عن قراءة كتاب اللّه ، وعيب من ترك أمر اللّه فواللّه لئن أرضي اللّه بسخط عثمان ، أحب الي وخير لي من أن اسخط

1- اعيان الشيعة 16 / 353 عن حلية الاولياء.

اللّه برضا عثمان » (1).

ويلاحظ المتتبع ، أن أبا ذر ، كان مؤدبا غاية الأدب مع عثمان نفسه ، فكان يتحاشى أن يسمعه كلاما يسيء اليه ، أو يرد عليه بأجوبة غليظة. بينما في الوقت ذاته نجده لا يتحرج من توجيه الكلام الشديد الى بطانته وبعض ولاته. ومرد ذلك لأمرين.

أحدهما : أن أبا ذر الصحابي الجليل قمة في الاخلاق والفضيلة ، والخصال الحميدة التي ينبغي للمؤمن أن يتخلَّق بها ، فلا يسب ولا يشتم ، ولا يتهم الطرف المقابل بما هو بعيد عنه.

ثانيهما : أن حواره مع الخليفة كان يبتني على الاحتفاظ بالصفة التي أعطيت له. فهو ينظر الى عثمان في محاوراته معه ، من زاوية سلطته الزمنية ، لا من زاوية ذاته.

أما نظرته الى حاشيته ، وبعض ولاته ، فانها تختلف اختلافا كليا عن ذلك ، فهو يعرفهم على حقيقتهم ، كما يعرف نواياهم ، فلا يترك لأحد منهم فرصة للتقول على اللّه بغير الحق ، بل يجبههم بالأجوبة المقذعة حينا ، والمسكتة حينا آخر ، ويكيل لهم الصاع صاعين في ذلك.

قال عثمان يوما – والناس حوله – : أيجوز للامام أن يأخذ من المال ، فاذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك !

فقال أبو ذر : يا ابن اليهوديين ! أتعلمنا ديننا ؟!

فقال عثمان : ما أكثر اذاك لي ، وأولعك بأصحابي ؟ إلحق بمكتبك ،

1- شرح النهج 8 / 256.

وكان مكتبه بالشام إلا أنه كان يقدم حاجا ، ويسأل عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فيأذن له في ذلك ».

لم يعد الخليفة يطيق وجود أبي ذر وأمثاله في المدينة ، فأمره باللحوق بالشام ، وفي هذا الامر تعجيل على أبي ذر بالرحيل اليها ، وتقييد لحريته في الإقامة بالمدينة متى أحب.

لقد غضب عثمان على أبي ذر ، فظن أن غضبه هذا سيضع حدّاً لنشاط أبي ذر ، لكن الذي حصل هو العكس. خصوصا بعد ان انقطعت الشعرة التي كانت بينهما.

ص: 120

مَوقف أبي ذَرّ مِن مُعاويَة

ففي الشام ، كان المجال لأبي ذر أوسع من أي بلد آخر. كما كانت نظرته الى معاوية ، تختلف عن نظرته الى عثمان.

فهو يعرف معاوية على حقيقته ، ويعرف إسـلام معاوية واسـلام أبيه من قبله ، لذلك كان صريحا في أقواله ، وخطبه ، ومواعظه ، وواضحا في دعوته ومنهجه ..

كـان صـريحا في موقفه الـذي ربما تكتم منه بعض الشـيء في المدينـة ، فكان يركز على الانحراف السائـد آنـذاك ، واستئثار الولاة بالفيء ، وعدولهم عن جادة الحق ، واطفائهم للسنة ، واحيائهم للبدعة. الى غير ذلك ، مما يدعو الى اثارة الناس.

وبذلك فتح على عثمان جبهة جديدة – ربما لم تخطر على باله – استهدفته ومعاوية معاً.

« كان يقوم في كل يوم ، فيعظ الناس ، ويأمرهم بالتمسك بطاعـة اللّه ، ويحـذرهم من ارتكاب معاصـيه ، ويروي عن رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسلم) ما سمعه منه في فضائل أهل بيته عليه و عليهم السلام ويحضهم على التمسك بعترته »(1).

1- الاعيان 16 / 355 – 356.

وكـان يقول : « أمـا بعـد ، فانا كنا في جاهليتنا ، قبل أن ينزل علينا الكتاب ، ويبعث فينا الرسول ، ونحن نوفي بالعهـد ، ونصـدق الحـديث ، ونحسن الجوار ، ونقري الضـيف ، ونواسـي الفقير. فلما بعث اللّه تعالى فينا رسول اللّه ، وأنزل علينا كتابه ، كانت تلك الاخلاق يرضاها اللّه ورسوله ، وكان أحقّ بها أهل الاسلام ، وأولى ان يحفظوها ، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه أن يلبثوا.

ثم ان الولاة ، قد أحدثوا أعمالا قِباحا لا نعرفها. من سـنَّة تطفى ! وبدعة تحيى ! وقائل بحق مكذَّب ، وأثرة لغير تقى ، وأمين – مُستأثر عليه – من الصالحين ... »

وكان يعيد هذا الكلام ويبديه ! (1)

وكان أبو ذر ، ينكر على معاوية ، أشياء يفعلها ، فبعث اليه معاوية يوما ثلاثمائة دينار !

فقال أبو ذر لرسوله : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ، أقبلها ، وان كانت صلة ، فلا حاجة لي فيها. وردّها عليه (2).

وكان أبو ذر يقول بالشام : واللّه لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، واللّه ما هي في كتاب اللّه ، ولا في سـنة نبيه (صـلى اللّه عليه وآله وسلم) واللّه إني لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيا .. الخ ..

ولـم يكن أبو ذر ، غريبا عن الشام – أرض الجهاد – على حد تعبيره ، وعن معسـكر المسـلمين هناك ، فقد اشترك في غزوة الصائفة (الروم) كما شارك في فتح قبرص ، وكان أحد الصحابة البارزين في تلك المعارك – كما مر معنا.

1- المصدر السابق.

2- شرح النهج 8 / 356.

فكان يحـدث بأحاديثه تلك أمام العامـة والخاصة ، كما كان يحدث بها أمام الجند ، مما دفع حبيب بن مسـلمة الفهري – أحد القادة – الى تحذير معاوية من مغبَّة ذلك ، وهذا ما يؤكده قول إبن بطَّال – المتقدم – من أنه كان كثير المنازعة لمعاوية والاعتراض عليه ، وكان في جيشـه مَيل له.

ولا يغرب عن بالنا ، أن معاويـة – بالاضافـة الى تكريس نفسه أميرا على الشام – كان يمني نفسه بالخلافـة مع أول فرصـة تلوح ، وكان يمهد لـذلك أيام إمارته. لـذا ، فانه يرى أن وجود أبي ذر وأمثاله من المبرزين ، ضـمن دائرة سـلطانه ، قـد يحول دون اسـتقامة هذا الامر له ، فكان أحرص على إبعاده عنه ، من ابعاد عثمان إياه عن المدينة. فكتب الى عثمان فيه :

« انك قد أفسدت الشام على نفسك بأبي ذر » (1).

والواقع : أنه أفسـدها على معاويـة وعلى عثمان معاً ، لأنه كان يندد بأعمال الولاة ، وانجرافهم ، واستئثارهم بالفيء ، بحجة انه « مال اللّه » ، وكأن اللّه سـبحانه قـد أوكل بهـذا المال – المال الذي أفاءه اللّه على المسـلمين بفضل جهادهم – الى عثمان ، كي يبيح لمعاوية صـرفه في سبيل غاياته الشخصـية. وكي يعطيه لمروان بن الحكم ، وللحكم ابن ابي العاص (طريد رسول اللّه) ، ولأبي سـفيان !! ولعبد اللّه بن سعد ! ومن هم على شاكلتهم ممن جرّوا الويلات على هذه الامة بتحكمهم في رقاب الناس ، وفي مقدراتهم.

ويظهر ان عثمان – بعد ورود كتاب معاوية عليه – وجد مبرراً للانتقام من أبي ذر ، وتأديبه كما يشتهي ، فكتب الى معاوية :

« أما بعد ، فاحمل جندبا الي على أغلظ مركب وأوعره .. » (2).

1- اليعقوبي 2 / 172.

2- الغدير 8 / 293.

ودَاع أهل الشّام لَه

ص: 125

ودَاع أهل الشّام لَه

أرسل معاوية الى أبي ذر ، فدعاه ، وأقرأه كتاب عثمان ، وقال له : النجاء الساعة !

فخرج أبو ذر الى راحلته فشدها بكورها وأنساعها ، فاجتمع اليه الناس ، فقالوا :

يا أبا ذر ، رحمك اللّه أين تريد ؟

قال : أخرجوني اليكم غضباً علي. وأخرجوني منكم الآن عبثاً بي ، ولا يزال هذا الامر فيما أرى ، شأنهم فيما بيني وبينهم ، حتى يستريح برّ ، أو يستراح من فاجر.

ومضى ، فسمع الناس بمخرجه فاتبعوه ، حتى خرج من دمشق ، فساروا معه حتى انتهى الى دير المرّان ، فنزل ، ونزل معه الناس ، فاستقدم ، فصلى بهم.

ثم قال : أيها الناس ، إني موصيكم بما ينفعكم ، وتارك الخُطب والتشقيق ، احمدوا اللّه عز وجل. قالوا : الحمد لله.

قال : اشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأن محمداً عبده ورسوله.

فأجابوه بمثل ما قال :

فقال : أشهد أن البعث حق ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأقر

بما جاء من عند اللّه ، واشهدوا علي بذلك.

قالوا : نحن على ذلك من الشاهدين.

قال : ليبشر من مات منكم على هذه الخصال ، برحمة اللّه وكرامته ، ما لم يكن للمجرمين ظهيرا ، أو لأعمال الظلمة مصلحا ، أو لهم معينا.

أيها الناس : إجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضبا لله عز وجل اذا عُصي في الارض ، ولا ترضوا أئمتكم بسخط اللّه. وإن أحدثوا ما لا تعرفون ، فجانبوهم ، وازروا عليهم وأن عُذِّبتم وحرمتم وسُيِّرتم حتى يرضى اللّه عز وجل ، فان اللّه أعلى وأجل ، لا ينبغي أن يُسخط برضا المخلوقين. غفر اللّه لي ولكم ، أستودعكم اللّه وأقرأ عليكم السلام ورحمة اللّه.

فناداه الناس : أن سلَّم اللّه عليك ورحمك ، يا أبا ذر ، يا صاحب رسول اللّه ! ألا نردّك إن كان هؤلاء القوم أخرجوك ؟ ألا نمنعك ؟

فقال لهم : إرجعوا ، رحمكم اللّه ، فاني أصبر منكم على البلوى ، واياكم والفرقة والاختلاف (1).

وهذه الرواية ، لا تتنافى مع الروايات الاخرى التي تؤكد على أنه حمل على ناقة مسنة ، بلا غطاء ولا وطاء ، حتى وصل الى المدينة وقد تسلخ فخذاه.

فان الغاية كانت ، هي الانتقام من أبي ذر شخصيا ، وفي وسع معاوية أن لا يثير على نفسه تساؤلات الناس ، وكبار الشاميين ممن عرف أبا ذر ، وأخذ منه وسمع عنه. فتركه يخرج من الشام بصورة طبيعية ، ثم بعد أن

1- أعيان الشيعة 16 / 356 - 357 نقلا عن كتاب المجالس.

صار خارج حدودها نفذ فيه أمر عثمان ، فحمل على الصورة المعروفة.

وترك معاوية إتمام هذه المأساة ، مأساة أبي ذر الصحابي الجليل ليكملها غيره.

فحمل من المدينة الى الربذة ، حتى مات هناك وحيدا غريبا.

وبدوري ، فانني أترك للمؤرخين تفصيل ذلك.

ص: 129

الفَصل الثالِث

اشارة

تسيير أبي ذَر إلى الربذَة

وَوَداع أمير المؤمنين علي عليه السلام له

كما وصفه المؤرخون

* منَ الشّام إلى المَدينَة إلى الرّبذَة

* في الرّبذَة

* بَين أبي ذَرّ وّحُذيفَة بن اليَمان

* يَمشي وَحدَهُ وَيمُوتُ وَحدَه

* المَأسَاة

ص: 131

من الشام إلى المدينة إلى الرّبذة

روى البلاذري (1) :

لمـا أعطى عثمـان مروان بن الحكم ما أعطاه ، وأعطى الحارث بان الحكم إبن أبي العاص ، ثلاثمائـة ألف درهم ، جعل أبو ذر يقول : بشـر الكـانزين بعـذاب أليم ، ويتلو قول اللّه عز وجل : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الـذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَـذَابٍ أَلِيمٍ) . فرفع ذلك مروان بن الحكم الى عثمان. فأرسل الى أبي ذر ، ناتلا مولاه : أن انته عما يبلغني عنك.

فقـال : أينهـاني عثمان عن قراءة كتاب اللّه. وعيب من ترك أمر اللّه ؟ فواللّه ، لئن أرضـي اللّه بسـخط عثمان ، أحب الي ، وخير لي ، من أن أسخط اللّه برضاه.

فاغضب عثمان ذلك ، واحفظه ، فتصابر ، وكف.

وقال عثمان يوما : أيجوز للامام أن يأخذ من المال ، فاذا أيسر قضى ؟

فقال كعب الأحبار : لا بأس بذلك !

فقال أبو ذر : يا ابن اليهوديين ، أتعلمنا ديننا ؟

1- الغدير 8 / 292 - 293 عن الانساب 5 / 52 / 54.

فقال عثمان : ما أكثر أذاك لي ، وأولعك باصحابي ؟ إلحق بمكتبك ، وكان مكتبه بالشام ، إلا أنه كان يقدم حاجا ، ويسال عثمان الإذن له في مجاورة قبر رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فيأذن له في ذلك ، وانما صار مكتبه بالشام ، لأنه قال لعثمان حين رأى البناء قد بلغ سلعا (1) ، أني سمعت رسول اللّه يقول : اذا بلغ البناء سلعا ، فالهرب ، فاذن لي أن آتي الشام فأغزو هناك. فأذن له.

وكان ابو ذر ينكر على معاوية اشياء يفعلها ، وبعث اليه معاوية بثلاث مائة دينار ، فقال : إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا ؟ قبلتها ! وان كانت صلة فلا حاجة لي فيها. وبعث اليه مسلمة الفهري بمائتي دينار ، فقال : أما وجدت أهون عليك مني ، حين تبعث الي بمال ؟ وردَّها.

وبنى معاوية الخضراء بدمشق ، فقال : يا معاوية ، إن كانت هذه الدار من مال اللّه ؟ فهي الخيانة ، وان كانت من مالك ؟ فهذا الاسراف. فسكت معاوية ، وكان ابو ذر يقول : واللّه لقد حدثت أعمال ما أعرفها ، واللّه ما هي في كتاب اللّه ، ولا سنة نبيه. واللّه اني لأرى حقا يطفأ ، وباطلا يحيى ، وصادقا يكذب ، وأثرة بغير تقى ، وصالحا مستأثرا عليه.

فقال حبيب بن مسلمة لمعاوية : ان أبا ذر مفسد عليك الشام ، فتدارك أهله إن كانت لكم به حاجة. فكتب معاوية الى عثمان فيه.

وجاء في شرح النهج :

عن جلاّم بن جندل الغفاري قال : كنت غلاما لمعاوية على قنسِّرين والعواصم ، في خلافة عثمان ، فجئت اليه اسأله عن حال عملي ، اذ سمعت صارخا على باب داره يقول : أتتكم القطار ، تحمل النار ! اللّهم العن الآمرين بالمعروف ، التاركين له ، اللّهم العن الناهين عن المنكر المرتكبين له.

1- سَلع : موضع بقرب المدينة (معجم البلدان - 3 / 236).

فازبأرَّ (1) معاوية ، وتغير لونه وقال : يا جلاّم أتعرف الصارخ ؟ فقلت : اللّهم لا.

قال : من عذيري من جندب بن جنادة ! يأتينا كل يوم ، فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت ! ثم قال : أدخلوه عليَّ.

فجيء بأبي ذر بين قوم يقودنه ، حتى وقف بين يديه ، فقال له معاوية :

يا عـدو اللّه وعـدو رسوله ! تأتينا في كل يوم ، فتصـنع ما تصـنع ! أما إني لو كنت قاتل رجل من أصـحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان ، لقتلتك ، ولكني أستأذن فيك.

قال جلاّم : وكنت أحب أن أرى أبا ذر ، لأنه رجل من قومي ، فالتفت اليه ، فاذا رجل أسـمر ضَرب (2) من الرجال ، خفيف العارضين ، في ظهره جَنأ (3) فأقبل على معاوية وقال :

ما أنا بعدوّ لله ولا لرسوله ، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله. أظهرتما الاسلام ، وأبطنتما الكفر. ولقد لعنك رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ودعا عليك مرّات ألا تشبع.

سمعت رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) يقول : اذا ولي الامة الأعين ، الواسع البلعوم ، الذي يأكل ولا يشبع ، فلتأخذ الامة حذرها منه.

فقال معاوية : ما أنا ذاك الرجل.

قال أبو ذر : بل أنت ذلك الرجل ، اخبرني بذلك رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) وسمعته يقول – وقد مررت به – : اللّهم إلعنه ، ولا تشبعه الا بالتراب .. الخ ..

1- ازبأرّ : غَضِب.

2- ضرب : الخفيف اللحم.

3- الجنأ : يقال جنئ ، جنأ ، اذا اشرف كاهله على ظهره حدبا.

فكتب عثمـان الى معاويـة : أن أحمل جنـدبا اليّ على اغلظ مركب ، وأوعره ، فوجَّه به مع من سار به الليل والنهار ، وحمله على شارف (1) ليس عليها إلاقتب حتى قدم به المدينة ، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد.

دخوله على عثمان

وفي رواية الواقدي : أن أبا ذر لما دخل على عثمان ، قال له :

لا أنعم اللّه بقين عينا *** نعم ولا لقاه يوماً زينا

تحية السخط اذا التقينا

فقال أبو ذر : ما عرفت اسمي (قيناً) قط.

وفي رواية أخرى : لا أنعم اللّه بك عينا يا جنيدب !

فقال أبو ذر : أنا جندب ، وسـماني رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) عبد اللّه ، فاخترت اسم رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسلم) الذي سماني به على اسمي.

فقال له عثمان : أنت الذي تزعم أنا نقول : يد اللّه مغلولة ، وان اللّه فقير ونحن أغنياء !

فقال أبو ذر : لو كنتم لا تقولون هذا ، لأنفقتم مال اللّه على عباده ، ولكني أشهد أني سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول. « اذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا ، جعلوا مال اللّه دُولا ، وعباده خَوَلا ، ودينه دَخَلا ».

فقال عثمان لمن حضر : أسمعتموها من رسول اللّه ؟

قالوا : لا.

قال عثمان : ويلك يا أبا ذر ! أتكذب على رسول اللّه ؟

1- الشارف : الناقة المسنَّة.

فقال أبو ذر لمن حضر : أما تدرون أني صَدقتُ !؟

قالوا : لا واللّه ، ما ندري.

فقال عثمان : ادعوا الي عليا. فلما جاء ، قال عثمان لأبي ذر : أقصص عليه حديثك في بني العاص. فأعاده.

فقال عثمان لعلي عليه السلام : أسمعت هذا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

قال : لا. وقد صَدق أبو ذر.

فقال : كيف عرفت صِدقهُ ؟

قال : لأني سمعت رسول اللّه يقول : « ما أظلَّتِ الخضراء ، ولا أقلَّت الغبراء ، من ذي لهجة أصدقُ من أبي ذَرٍّ ».

فقال من حضر : أما هذا ، فسمعناه كُلُّنا من رسول اللّه.

فقال أبو ذر : أحدثكم اني سمعت هذا من رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فتتهموني ! ما كنت أظن اني أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد (1).

وجاء في رواية الواقدي ، عن صهبان مولى الاسلميين.

قال : رأيت أبا ذر يوم دخل به على عثمان. فقال له : أنت الذي فعلت ، وفعلت !؟

فقال أبوذر : نصحتك فاستغششتني ، ونصحت صاحبك ، فاستغشني !

قال عثمان : كذبت ، ولكنك تريد الفتنة ، وتحبها ، قد انغلت (2) الشام علينا.

فقال أبو ذر : اتبع سنة صاحبيك ، لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال عثمان : مالك وذلك ، لا أمّ لك !

1- شرح النهج 8 ص 257 - 258 - 259 و ج 3 منه.

2- النغل : الافساد بين القوم.

قال أبو ذر : واللّه ما وجدت لي عذرا ، إلا الامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر.

فغضب عثمان ، وقال : اشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب ، إما ان أضربه ، أو أحبسه ، أو أقتله ، فانه قد فرَّق جماعة المسلمين ، أو أنفيَه من أرض الاسلام.

فتكلم علي عليه السلام – وكان حاضرا – فقال :

أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون « فان يَكُ كاذِباً فَعَليهِ كَذِبُه ، وإن يَكُ صادقاً ، يُصِبكم بَعض الذي يَعدِكم ، إن اللّه لا يهدي مَن هُو مُسرِف كذَّاب ».

فأجابه عثمان بجواب غليظ. وأجابه علي عليه السلام بمثله (1) ..

وجاء في مروج الذهب :

وكان في ذلك اليوم قد أتي عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف الزهري من المال ، فنثرت البدر ، حتى حالت بين عثمان وبين الرجل الواقف ، فقال عثمان :

إني لأرجو لعبد الرحمن خيرا ، لأنه كان يتصدق ، ويقري الضيف ، وترك ما ترون.

فقال كعب الأحبار : صدقت يا أمير المؤمنين.

فشال أبو ذر العصا ، فضرب بها رأس كعب ولم يشغله ما كان فيه من الألم ، وقال :

يا ابن اليهودي ، تقول لرجل مات وترك هذا المال إن اللّه أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة ، وتقطع على اللّه بذلك ، وانا سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول :

1- نفس المصدر السابق.

ما يسرني أن أموت ، وأدَعَ ما يزن قيراطاً (1).

قال الواقدي : ثم إن عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذر ، أو يكلموه ، فمكث كذلك أياماً.

ثم أتي به ، فوقف بين يديه ، فقال أبو ذر : ويحك ياعثمان أما رأيت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ورأيت أبا بكر وعمر ! هل هَديُكَ كهديِهم ، أما إنَّك لتبطُش بي بطشَ جبَّار !.

فقال عثمان : أخرج عنا من بلادنا - (2) الى آخر الرواية.

وفي مروج الذهب :

فقال له عثمان : وارِ عني وجهك.

فقال : أسير الى مكة. قال : لا واللّه ؟

قال : فتمنعني من بيت ربي أعبده فيه حتى أموت ؟ قال. إي واللّه.

قال : فالى الشام ، قال : لا واللّه.

قال : البصرة. قال : لا واللّه ، فاختر غير هذه البلدان.

قال : لا واللّه ما اختار غير ما ذكرت لك. ولو تركتني في دار هجرتي ، ما أردت شيئا من البلدان ، فسيرني ، حيث شئت من البلاد.

قال : فاني مسيرك الى الربذة.

قال : اللّه أكبر ، صدق رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قد أخبرني بكل ما أنا لاق.

قال : عثمان : وما قال لك ؟

قال : أخبرني بأني أمنع عن مكة ، والمدينة ، وأموت بالربذة ، ويتولى

1- مروج الذهب 2 / 340.

2- شرح النهج 8 / 259 - 260.

مواراتي نفر ممن يردون من العراق نحو الحجاز (1).

نفيه الى الربذة

جاء في شرح النهج ، عن ابن عباس ، قال :

لما أخرج أبو ذر الى الربـذة ، أمر عثمان ، فنودي في الناس : ألاّ يكلم أحد أبا ذر ، ولا يشـيِّعه وأمر مروان بن الحكم أن يخرج به. فخرج به ، وتحاماه الناس. إلا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعقيلا أخاه ، وحسنا وحسينا عليهماالسلام ، وعمارا فانهم خرجوا معه يشيعونه.

فجعل الحسن عليه السلام ، يكلم أبا ذر ..

فقال له مروان : إيها يا حسن ، ألا تعلم أن أمير المؤمنين قد نهى عن كلام هذا الرجل ؟ ! فان كنت لا تعلم ، فاعلم ذلك.

فحمل علي عليه السلام على مروان ، فضرب بالسوط بين أذني راحلته ، وقال : تنحَّ ، لَحَاكَ اللّه الى النار !

فرجع مروان مغضبا الى عثمان ، فأخبره الخبر ، فتلظى على عليّ (عليه السلام) (2).

كلام الامام (عليه السلام) لابي ذر

وودع علي عليه السلام أبا ذر (رضي اللّه عنه) قائلا له :

يا أبا ذر ، انك غضبت لله ، فأرجُ من غضبتَ له إن القومَ خافوك

1- مروج الذهب 2 / 340 - 341.

2- شرح النهج 8 / 252 - 253.

على دنيـاهم ، وخِفتهم على دينك ، فاترك في أيـديهم ما خافوك عليه ، واهرَب منهم بما خفتهم عليه ، فما أحوَجهم الى ما منعتهم ، واغناك عمَّا منعوك !

وستعلم من الرابح غدا ، والأكثر حُسَّدا ، ولو أن السمواتِ والأرضين كانتا على عبد رتقاً ، ثم اتقى اللّه ، لجعل اللّه له منهما مخرجا.

لا يؤنسنك الاّ الحق ، ولا يُوحشنَّك إلا الباطل ، فلو قبلت دنياهم لأحبُّوك ولو قرضت منها لأمنَّوك (1).

وجاء في رواية ابن عباس : عن ذكوان – وكان حافظاً –. كما في شرح النهج.

قـال ذكوان : فحفظت كلام القوم. فقال علي عليه السـلام : يا أبا ذر ، أنك غضـبت لله ، إن القوم خافوك على دنياهم ، وخفتهم على دينك ، فامتحنوك بالقِلى ، ونفوكَ الى الفلا. واللّه لو كانت السموات .. الخ.

ثم قال علي عليه السلام لأصحابه : « ودِّعوا عمَّكم ، وقال لعقيل : ودِّع أخاك ».

كلام عقيل

فتكلم عقيـل : فقـال : ما عسـى أن نقولَ يا أبا ذر ، وأنت تعلم أنا نحبُّك ، وأنت تُحبُّنا ! فاتق اللّه ، فان التقوى نجاة ، وإصبر ، فان الصبرَ كَرم ، وإعلم أن إستثقالك الصبرَ ، من الجزعِ. واستبطاءَك العافيةَ ، من اليأسِ ، فدَع اليأس والجزع.

1- نهج البلاغة 2 / ص 12 – 13.

كلام الحسن (عليه السلام)

ثم تكلم الحسن ، عليه السلام ، فقال : يا عمَّاه ، لو لا ـ أنه لا ينبغي للمودِّع أن يسكت ، وللمشيِّع أن ينصرف لقصر الكلام ، وإن طال الأسف ، وقد أتى القوم اليك ما ترى ، فضَع عنك الدنيا ، بتذكر فراغها وشِدَّة ما اشتد منها ، برجاء ما بعدها ، وإصبِر حتى تلقى نبيَّك (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وهو عنك راض.

كلام الحسين (عليه السلام)

ثم تكلم الحسين عليه السلام فقال : يا عمَّاه ، ان اللّه تعالى قادر أن يغيِّر ما قد يرى ، واللّه كلَّ يوم هو في شأن ، وقد منَعَك القوم دنياهم ، ومنعتهم دينَك ، فما أغناك عمَّا منعوك ، وأحوجهم الى ما منعتهم ! فاسأل اللّه الصبرَ والنصرَ واستعذ به من الجشع والجزع ، فان الصبرَ من الدين والكرم ، وان الجشع لا يُقدّم رزقاً ، والجزع لا يؤخِّر أجلا.

كلام عمَّار بن ياسر

ثم تكلم عمار – رحمه اللّه – مغضباً ، فقال :

لا ـ آنس اللّه من أوحشَك ، ولا ـ آمنَ من أخافك ، أما واللّه ، لو أردتَ دنياهم ، لأمنُّوك ، ولو رضيت أعمالهم ، لأحبُّوك ، وما منع الناس أن يقولوا بقولك ، إلا الرضا بالدنيا ، والجزع من الموت ، مالوا الى ما سلطان جماعتهم عليه ، والملك لمن غَلب ، فوهبوا لهم دينهم ، ومنحهم القوم دنياهم ، فَخسِروا الدنيا والآخرة ، ألا ذلك هو الخسران المبين !

كلام ابي ذر (رضي اللّه عنه)

فبكى أبو ذر رحمه اللّه – وكان شيخا كبيرا – وقال :

رحمكم اللّه يا أهل بيت الرحمة ! اذا رأيتكم ، ذكرت بكم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) مالي بالمدينة سَكن ولا شجن غيركم ، إني ثقلتُ على عثمان بالحجاز ، كما ثقلت على معاوية بالشام. وكَرِه أن أجاور أخاه وابن خاله بالمصرين ، فأفسد الناس عليهما ، فسيَّرني الى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلا اللّه ! واللّه ما أريد إلا اللّه صاحباً ، وما أخشى مع اللّه وحشة.

بين علي (عليه السلام) وعثمان

ورجع القوم الى المدينة ، فجاء علي (عليه السلام) الى عثمان ، فقال له :

ما حملك على ردّ رسولي ، وتصغير أمري !؟

فقال علي (عليه السلام) : أما رسولك ، فأراد أن يردَّ وجهي ، فرددته ، وأما أمرك ، فلم أصغِّره.

قال : أم بلغك نهيي عن كلام ابي ذر !؟

قال (عليه السلام) : أو كلما أمرت بأمر معصية ، أطعناك فيه !

قال عثمان : أقِد مروان من نفسك.

قال : ممَّ ذا ؟

قال : من شَتمِه ، وجَذبِ راحِلتَه.

قال : أما راحلتُه ، فراحلتي بها ، وأما شتمه إياي ، فواللّه لا يشتمني شتمة ، إلا شتمتك مثلها ، لا أكذب عليك.

فغضب عثمان ، وقال : لِم لا يشتمكَ ؟ كأنك خير منه !

قال علي (عليه السلام) : إي واللّه ، ومِنكَ ! ثمّ قام ، فخرج (1).

وبلغ أبا الدرداء (2) – وهو في الشام – ان عثمان قد سيَّر أبا ذر الى الربذة ، فقال : « إنا لله وانا اليه راجعون ، لو أن أبا ذر قطع لي عضوا أو يدا ، ما هجته ، بعد ان سمعت النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول : ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر (3) ».

1- شرح النهج 8 / 253 الى 255.

2- الصاري ، واسمه عامر ، كان مصاحبا لابي ذر.

3- المستدرك على الصحيحين 3 / 344.

في الرّبذَة

عن أبي الاسود الدؤلي ، قال :

كنت أحب لقاء أبي ذر ، لاسأله عن سبب خروجه الى الربذة ، فجئته ، فقلت له :

الا تخبرني ، أخرجت من المدينة طائعا ، أم أخرجت كرها ؟

فقال : كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم ، فأُخرجتُ الى المدينة ! فقلت : دار هجرتي وأصحابي ! فأخرجت من المدينة الى ما ترى !.

ثم قال : بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد ، على عهد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، أذ مرَّ بي عليه السلام فضربني برجله ، وقال : لا أراك نائما في المسجد.

فقلت : – بأبي أنت وأمي – غلبتني عيني ، فنمتُ فيه.

قال : فكيف تصنع ، اذا أخرجوك منه ؟

قلت : الحق بالشام ، فانها أرض مقدَّسة ، وأرض الجهاد.

قال : فكيف تصنع اذا أخرجتَ منها ؟

قلت : أرجع الى المسجد !

قال : فكيف تصنع اذا أخرجوك منه ؟

قلت : آخذ سيفي ، فأضربهم به.

فقـال : ألاـ أدلُّك على خير من ذلك ؟ إنسق معهم حيث ساقوك ، وتسـمع وتطيع ، فسـمعت وأطعت ، وأنا أسـمع وأطيع ! واللّه ليلقَين اللّه عثمان ، وهو آثم في جنبي (1).

وفي حلية الاولياء ، بسنده عن عبد اللّه بن خراش ، قال.

رأيت أبا ذر بالربذة ، في ظُلة له سوداء ، له امرأة سحماء ، وهو جالس على قطعة جوالق. فقيل له : انك إمرؤ ما يبقى لك ولد ؟

فقال : الحمد لله الذي يأخذهم في دار الفناء ، ويدَّخرهم في دار البقاء.

قالوا : يا أبا ذر ، لو اتخذت امرأة غير هذه ؟

قال : لئن أتزوج امرأة تضعني ، أحب اليَّ من امرأة ترفعني.

فقالوا : لو اتخذت بساطا ألين من هذا ؟

قال : اللّهم غفرا ! خذ مما خوّلتَ ، ما بدا لك (2).

ودخل عليه قوم من أهل الربذة. فقالوا : يا أبا ذر ! ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي !

قالوا : فما تشتهي ؟

قال : رحمةَ ربي.

قالوا : هل لك بطبيب. ؟

1- شرح النهج 8 / 260 - 261.
2- الاعيان 329.

قال : الطبيبُ أمرضني (1). !!

كلامه (رضي اللّه عنه) على قبر ولده

روى الكليني في الكافي ، بسنده عن علي بن ابراهيم ، رفعه ، قال :

لما مات ذر بن ابي ذر ، مسح ابو ذر القبر بيده ، ثم قال.

رحمك اللّه يا ذر ، واللّه إن كنت بي بارا ، ولقد قُبِضتَ واني عنك لراض ، أما واللّه ما بي فقدُك وما علي من غضاضة (2) وما لي الى أحد سوى اللّه من حاجة ، ولولا هول المطَّلع ، لسرني أن أكون مكانك ، ولقد شغلني الحزن لك ، عن الحزن عليك ، واللّه ما بكيت لك ! ولكن بكيت عليك ، فليت شعري ماذا قلتَ ؟ وماذا قيل لك ؟

ثم قال : اللّهم إني قد وهبت له ما افترضتَ عليه من حقي ، فَهب له ما افترضتَ عليه من حقك ، فأنت أحق بالجود مني (3).

1- المصدر السابق / 373.

2- ما بي فقدك ، أي ليس علي بأس وحزن من فقدك.

3- الفروع من الكافي ج 3 / 250 - 251.

بَين أبي ذَرّ وَحُذيفَة بن اليمَان

ما كتبه أبو ذر ، الى حُذَيفَة بن اليمان يشكو اليه ما فعل به

في كتاب الفصول للسيد المرتضى ، عن أبي مخنف ، قال : حدثني الصلت ، عن زيد بن كثير ، عن ابي أمامة. قال : كتب أبو ذر الى حذيفة بن اليمان يشكو اليه ما صنع به عثمان.

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أما بعد يا أخي. فَخَف اللّه مخافة يكثر منها بكاء عينيك ، وحرِّر قلبك ، وأسهر ليلك ، وانصَب بدنك في طاعة اللّه. فحق لمن عَلِم أن النار مثوى من سخط اللّه عليه ، أن يطول بكاؤه ، ونَصَبُه ، وسهر ليله ، حتى يعلم أنه قد رضى اللّه عنه . وحق لمن علم أن الجنة مثوى من رضى اللّه عنه ، أن يستقبل الحق كي يفوز بها ، ويستصغر في ذات اللّه الخروج من أهله وماله ، وقيام ليله ، وصيام نهاره ، وجهاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه ، حتى يعلم ان اللّه أوجبها له ، وليس بعالِم ذلك دون لقاء ربَّه. وكذلك ينبغي لكل من رغب في جوار اللّه ، ومرافقة انبيائه ، أن يكون.

يا أخي ، أنت ممن أستريح الى التصريح اليه ببثي وحزني. وأشكو اليه تظاهر الظالمين علي.

إني رأيت الجور – يعمل به – بعيني ، وسـمعته يقال ، فرددته ، فحُرمت العطاء ، وسُيِّرت الى البلاد ، وغُرِّبت عن العشيرة والاخوان ، وحَرَم الرسول صـلى اللّه عليه و آله وأعوذ بربي العظيم أن يكون مني هـذا شـكوى ، أن رُكب مني ما رُكب ، بل انبأتُك أني قد رضـيت ما أحب لي ربي ، وقضـاه علي ، وأفضـيت ذلـك اليـك ، لتـدعوَ اللّه لي ، ولعـامَّة المسـلمين بـالروح والفرج ، وبما هو أعم نفعا ، وخير مغبَّة وعقبى – والسلام.

جواب حذيفة له

فكتب اليه حذيفة :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

أمـا بعـد يا أخي. فقـد بلغني كتابك ، تُخَوّفني به ، وتحـذّرني فيه منقلَبي ، وتحثني فيه على حظ نفسـي ، فقـديما – يا أخي – ما ، كنت بي ، وبالمؤمنين حفيًّاً لطيفا. وعليهم حدِبا شـفيقا. ولهم بالمعروف آمِرا ، وعن المنكرات ناهيا ، وليس يهدي الى رضوان اللّه إلا هو ، ولا يُتناهى من سـخطه الا بفضل رحمته ، وعظيم منِّه. فنسأل اللّه ربنا – لأنفسـنا وخاصَّتنا ، وعامَّتنا ، وجماعة أمَّتنا – مغفرة عامة ، ورحمة واسعة ، وقد فهمتُ ما ذكرتَ من تسييرك ، يا أخي ، وتغريبك ، وتطريدك ، فعزَّ واللّه عليَّ يا أخي ، ما وصل اليك من مكروه ولو كان يُفتدى ذلك بمال ، لأعطيتُ فيه مالي ، طيِّبة بذلك نفسـي ، ليصـرَف اللّه عنك – بذلك – المكروه. واللّه ، لو سألتُ لك المواساة ، ثم أعطيتُها لأحببت احتمال شطر مـا نزل بـك ، ومواساتك في الفقر ، والأذى ، والضـرر. لكنه ، ليس لأنفسـنا ، إلا ما شاء ربنا. يا أخي ، فافزع بنا الى ربنا ، ولنجعل اليه رغبتنا ،

فقد استُحصِدنا ! واقترب الصَّرام (1). فكأني ، واياك ، قد دعينا فأجبنا ! وعرضنا على أعمالنا ، فاحتجنا الى ما أسلفنا ! يا أخي : ولا تأسَ على مـا فاتك ، ولا تحزن على ما أصابك ، واحتسب فيه الخير. وارتقب فيه من اللّه أسـنى الثواب. يا أخي : لا أرى الموت لي ولك ، إلا خيرا من البقاء ، فانه قد أظلتنا فتن يتلو بعضـها بعضا ، كقطع الليل المظلم ، قد انبعثت من مركبها ، ووطئت في خطامها ، تشهر فيها السيوف ، وتنزل فيهـا الحتوف ! يُقتـل فيها من اطلع لها ، والتبس بها ، وركض فيها ، ولا يبقى قبيلـة من قبائل العرب ، من الوبر والمـدر ، إلا دخلت عليهم ! فأعزّ أهل ذلك الزمان ، أشدهم عتوًا ! وأذلُّهم ، اتقاهم ! فأعاذنا اللّه واياك ، من زمان هذه حال أهله.

لن أدَعَ الدُعاء لك ، في القيام والقعود ، والليل والنهار ، وقد قال اللّه ، ولا خُلف لموعده : أدعوني ، أسـتجب لكم ، إن الذين يستكبرون عن عبادتي سـيدخلون جهنم داخرين ، فنستجير باللّه من التكبُّر عن عبادته ، والاستنكاف عن طاعته ، جعل اللّه لنا ولك فرجاً ، ومخرجا عاجلا برحمته ، والسلام (2).

1- الصرّام للنخل : أوان ادراكه وجزّه.

2- أعيان الشيعة 16 / 366 - 368.

يَمشي وَحْدَهُ وَيمُوتُ وَحْدَه

« صدق رسول اللّه صلى اللّه عليه و آله »

حين استعدَّ النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لمحاربة الروم قاصدا « تبوك » من أرض الشام ، كان الفصل قائضا شديد الحرارة. وكان العدو شديد البأس ، كثير العدّة والعدد ، مما دعا نفرا من المتاخذلين – ممن أسلم رهبة أو رغبة – الى القعود ، والتخلف عن الجهاد.

وتابع المسلمون سيرهم بكل ثقة وشجاعة ، وانتهى الامر بالصلح مع الروم على دفع الجزية.

فقد ألقى اللّه في قلوب زعمائهم الهيبة ، لما تناهى الى أسماعهم من أنباء الانتصارات الساحقة التي سجلها المسلمون في أكثر من موقع بالرغم من قلتهم ، ولما سمعوه عن بسالة المقاتل المسلم ، واستماتته في سبيل الدفاع عن اسلامه واضعا نصب عينيه الجنة ، قاتلا أو مقتولا. لذلك ، فقد آثروا الانسحاب على المواجهة.

ووجه النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الى يوحنا بن رؤبة – أحد زعماء المنطقة – رسالة يدعوه فيها الى الاسلام ، أو دفع الجزية ، فقدم على النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) حاملا الهدايا ، ومعلنا الطاعة. فصالحه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) على الجزية ، في كل سنة ثلاثمائة

دينار ، كما صالحه على ذلك أهل المناطق الاخرى ، وكتب (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بينه وبينهم كتبا تتضمن شروط الصلح بما يحفظ للمسلمين حقهم في الجزية ، والتجول في تلك المنطقة ، آمنين على انفسهم وأموالهم ، ويضمن لأصحاب تلك المناطق حرية العقيدة ، والعيش مع جيرانهم المسلمين بأمان.

في هذه الغزوة ، تخلف بأبي ذر جمله ، فعالجه حتى أعياه أمره ، فأخذ رحله عنه ، وحمله على ظهره ، وتابع سيره ماشيا على قدميه.

« ونظر الناس ، فقالوا يا رسول اللّه ، هذا رجل على الطريق وحده.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : كن أبا ذر !

فلما تأمله الناس ، قالوا : هو أبو ذر.

فقال رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : يرحم اللّه أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده ، ويشهده عصابة من المؤمنين.

فلما نفى عثمان أبا ذر الى الربذة ، أصابه بها أجله ، ولم يكن معه الا مرأته وغلامه (1).

1- الكامل 2 / 280.

المَأسَاة

ص: 153

عن أم ذر زوجة أبي ذر ، قالت : لما حضرت أبا ذر الوفاة ، بكيت. فقال : ما يبكيك ؟

فقلت : مالي لا أبكي ، وأنت تموت بفلاة من الارض ، وليس عندي يسعك كفنا ، لي ولا لك. ولا يد لي للقيام بجهازك !

قال : فأبشري ، ولا تبكي ، فاني سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول : لا يموت بين امرأين مسلمين ولدان ، أو ثلاثة ، فيصبران ، ويحتسبان ، فيريان النار أبدا.

وقد مات لنا ثلاثة من الولد !

واني سمعت رسول اللّه يقول لنفر أنا فيهم : ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض ، يشهده عصابة من المؤمنين ! وليس من أولئك النفر أحد ، إلا وقد مات في قرية ، أو جماعة. (ولم يبق غيري ، وقد أصبحت بالفلاة أموت (1)). فأنا ذلك الرجل ، فواللّه ما كَذِبت ، ولا كُذبت فأبصري الطريق.

قلت : أنى ؟ وقد ذهب الحاج ، وتقطَّعت الطريق.

1- كذا في أعيان الشيعة 16 / 368.

قال : اذهبي ، فتبصَّري.

قـالت : فكنت أشـتد الى الكثيب ، فـانظر ! ثم أرجع اليه ، فـأمرِّضه. فبينما أنا وهو كـذلك ، أذ أنا برجال على رحالهم ، كأنهم الرُخُم (1) ، تخب بهم رواحلهم ، فأسرعوا الي ، حتى وقفوا علي ، فقالوا :

يا أمة اللّه ، مالَكِ ؟

قلت : إمرؤ من المسلمين ، يموت ! تكفنونه ، « وتؤجرون فيه » (2).

قالوا : ومن هو ؟ قلت : أبو ذر !. قالوا : صاحب رسول اللّه !؟ قلت : نعم.

قالت : فَفدَّوه بأبائهم ، وأمهاتهم ، ثم (وضعوا سياطهم في نحورها). وأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه (3) .. الخ الرواية.

وفي رواية الكشي ، عن جلاّم بن ذر. وكان له صحبة (مع رسول اللّه) قال :

مكث ابو ذر في الربـذة حتى ، مات فلما حضـرته الوفاة ، قال لامرأته : اذبحي شاة من غنمك واصـنعيها ، فاذا نضـجت ، اقعدي على قارعة الطريق ، فأول ركب ترينهم ، قولي :

يا عباد اللّه المسـلمين ، هذا أبو ذر صاحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وقد قضى نحبه ، ولقي ربه ، فأعينوني عليه ، وأجنوه ، فان رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) أخبرني أني أموت في أرض غربة ، وانه يلي غسلي ودفني والصلاة علي رجال من أمته صالحون.

1- الرّخم : طائر على شكل النسر مبقع بسواد وبياض.

2- كذا في أعيان الشيعة.

3- الاستيعاب ، حاشية على الاصابة 1 / 214 الى 216.

عن محمـد بن علقمة بن الاسود النخعي ، قال : خرجت في رهط أريد الحج ، منهم مالك بن الحارث الأشتر ، وعبد اللّه بن فضل التيمي ، ورفاعة بن شداد البجلي ، حتى قدمنا الربذة ، فاذا امرأة على قارعة الطريق تقول :

يا عباد اللّه المسلمين ، هذا أبو ذر صاحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قد هلك غريبا ليس أحد يعينني عليه !

فنظر بعضـنا الى بعض ، وحمـدنا اللّه على مـا ساق الينا ، واسترجعنا على عظيم المصـيبة. ثم أقبلنا معها فجهزناه ، وتنافسـنا في كفنه حتى خرج من بيننا بالسواء ، ثم تعاونا على غسله ، حتى فرغنا منه ، ثم قدمنا مالك الأشتر فصلى عليه ، ثم دفناه.

فقام الأشتر على قبره ثم قال : اللّهم هذا أبو ذر صاحب رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) عبدك في العابدين وجاهد فيك المشركين ، لم يغير ولم يبـدل ، لكنه رأى منكرا فغيَّره بلسانه وقلبه حتى جفي ونفي ، وحرم واحتقر ، ثم مات وحيدا غريبا ، اللّهم فاقصم من حرمه ونفاه من مهاجره ، وحرِم رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

فرفعنا أيدينا جميعا ، وقلنا : آمين.

فقدمت الشاة التي صنعت ، فقالت أنه أقسم عليكم أن لا تبرحوا ، حتى تتغدوا فتغدينا ، وارتحلنا (1).

« رواية ثانية حول كيفية وفاته »

في تفسير علي بن ابراهيم في تتمة خبره في غزوة تبوك :

1- أعيان الشيعة / 372 نقلا عن الدرجات الرفيعة. و373.

فلما سيَّره عثمان الى الربذة ، كان له غنيمات يعيش هو وعياله منها ، فأصابها داء يقال له النقاب ، فماتت كلها. فأصاب أبا ذر وابنته الجوع ، فقالت ابنته :

أصابنا الجوع وبقينا ثلاثة أيام لم نأكل شيئا ! فقال لي أبي : يا بنية ، قومي بنا الى الرمل ، نطلب العبب (نبت له حب) فصرنا الى الرمل ، فلم نجد شيئا ، فجمع أبي رملا , ووضع رأسه عليه ، ورأيت عينيه قد انقلبتا ، فبكيت ، فقلت له – يا أبه كيف أصنع بك ، وأنا وحيدة ؟

فقال : يا بنيتي لا ـ تخافي ، فاني اذا مت ، جائك من أهل العراق من يكفيك أمري ، فاني أخبرني حبيبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في غزوة تبوك ، فقال لي : يا أبا ذر تعيش وحدك ، وتموت وحدك ، وتدخل الجنة وحدك ، يسعد بك أقوام من أهل العراق ، يتولون غسلك ، وتجهيزك ، ودفنك ، فاذا أنا مت فمدي الكساء على وجهي ، ثم اقعدي على طريق العراق ، فاذا أقبل ركب ، فقومي اليهم وقولي :

– هذا ابو ذر صاحب رسول اللّه قد توفي.

قالت : فدخل اليه قوم من أهل الربذة ، فقالوا : يا أبا ذر ، ما تشتكي ؟ قال : ذنوبي ! قالوا : فما تشتهي ؟ قال : رحمة ربي ! قالوا : هل لك بطبيب ؟ قال : الطبيب أمرضني !!

قالت ابنته : فلما عاين ، سمعته يقول : مرحبا بحبيب أتى على فاقة ، لا أفلح من ندم ! اللّهم خنقني خناقك ، فوحقك إنك لتعلم أني أحب لقاءك.

قالت ابنته : فلما مات ، مددت الكساء على وجهه ، ثم قعدت على

طريق العراق ، فجاء نفر ، فقلت لهم : يا معشر المسلمين ، هذا أبو ذر ، صاحب رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) قد توفي.

فنزلوا ، ومشوا يبكون ، فجاؤا ، فغسَّلوه وكفَّنوه ودفنوه ، وكان فيهم الأشتر.

فروي أنه قال : دفنته في حلَّة كانت معي ، قيمتها أربعة آلاف درهم (1).

1- أعيان الشيعة / 372 نقلا عن الدرجات الرفيعة و 373.

الفَصْل الرّابِع

اشارة

* أبو ذَرّ عَلى لِسَان النّبي الكَريم (صلى اللّه عليه وآله وسلم).

* بَينَ النّبي وَأبي ذَرّ.

* أبو ذَرّ العَالِم.

* الزّاهِد المتعبّدِ.

* مِن فَضَائِله.

* مِن كَلاَمه.

* وَصفه لآخر الزمَان.

ص: 161

أبو ذَرّ عَلى لِسان النّبي الكَريم (صلى اللّه عليه وآله وسلم)

ونستعرض هنا ، ما جاء على لسان النبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) بشأن هذا الصحابي الجليل من كلمات مضيئة هي بمثابة أوسمة منحها اياه النبي الكريم (صلى اللّه عليه وآله وسلم) باستحقاق وجدارة. ونقتصر هنا على ذكر الرواية بذلك ، دون ذكر السند.

قال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : ما أظلَّتِ الخضراء ، ولا أقلَّتِ الغَبراء من ذي لهجة أصدق ، ولا أوفى من أبي ذر ، شِبهُ عيسى بن مريم.

وفي لفظ آخر : ما أظلَّت الخضراء ، ولا أقلَّت الغبراء على ذي لهجة ، أصدق من أبي ذر ، من سرّه أن ينظر الى زُهدِ عيسى بن مريم ، فلينظر الى أبي ذر.

من أحبّ أن ينظر الى المسيح عيسى بن مريم ، الى بره وصدقه ، وجدِّه ، فلينظر الى أبي ذر.

إن أبا ذر ليباري عيسى بن مريم في عبادته.

رحم اللّه أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده.

إن اللّه عز وجل أمرني بحُبِّ اربعة ، وأخبرني انه يحبُّهم : عليّ ، وأبو ذر ، والمقداد ، وسلمان.

عن أبي ذر قال ، قال رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) : يا أبا ذر ! كيف أنت اذا كنت في حثالة ؟ وشـبَّك بين أصابعه. قلت : يا رسول اللّه ! فما تأمرني ؟ قال : إصبر. إصبر. إصبر. خالقوا الناس بأخلاقهم ، وخالفوهم في أعمالهم.

عن أبي ذر أيضا ، قال : بَينَا أنا واقف مع رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) فقال لي : يا أبا ذر ، أنت رجل صالح ، وسيُصِيبُك بلاء بعدي ! قلت : في اللّه ؟ قال : في اللّه. قلت مرحبا بأمر اللّه.

عن أبي ذر قـال : قـال النبي (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) : يـا أبـا ذر ! كيف أنت اذا كانت عليك أمراء يسـتأثرون بالفيء ؟ قال : قلت : اذاً ، والذي بعثك بالحق ، أضربُ بسيفي حتى ألحقَ بك. فقال : أفلا أدلُّك على ما هو خير من ذلك. ؟ إصبر حتى تلقاني (1).

1- هذه الأحاديث اخذناها عن المستدرك ج 3 ص 342 و 343 / وعن الغدير ج 8 ص 312 الى 316.

بَينَ النّبي وَأبي ذَرّ

قال أبو ذر : ودخلت على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، وهو في المجلس جالس وحده ، فاغتنمت خلوته !

فقال : يا أبا ذر ، إن للمسجد تحيَّة !

قلت : وما تحيته يا رسول اللّه. ؟

قال : ركعتان. فركعتهما. ثم التفتّ اليه ، فقلت : يا رسول اللّه ، أي الاعمال أحبّ الى اللّه جلَّ ثناؤه ؟

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : الإيمان باللّه ، ثم الجهاد في سبيله.

قلت : يا رسول اللّه ، أمرتني بالصلاة ، فما الصلاة ؟

قال : خير موضوع ، فمن شاء أقلّ ، ومن شاء أكثر. !

قلت : يا رسول اللّه ، أي المؤمنين ، اكمل إيماناً. ؟

قال : أحسنهم خُلقاً.

قلت : فأيّ المؤمنين أفضل ؟

قال : من سَلِمَ المسلمون من يده ولسانه. !

قلت : فأيّ الهجرة أفضل. ؟

قال : من هجر الشر !

قلت : فأيّ الليل أفضل (1) ؟

قال : جوف الليل الغابر !.

قلت : فأي الصلاة أفضل ؟

قال : طول القنوت !

قلت : فأي الصدقة أفضل ؟

قال : جَهد (2) من مُقلّ الى فقير في سر.

قلت : فما الصوم ؟

قال : فرض مجزيء. وعند اللّه أضعاف ذلك.

قلت : فأي الرقاب أفضل (3) ؟

قال : أغلاها ثمنا ، وأنفسها عند أهلها.

قلت : فأي الجهاد أفضل ؟

قال : من عقر جواده ، وأهريق دمه !

قلت : فأيّ آية انزلها اللّه عليك أعظم ؟

قال : أية الكرسي ! ثم قال : يا أبا ذر ، مالسموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة ! وفضل العرش على الكرسي ، كفضل الفلاة على تلك الحلقة.

قلت : يا رسول اللّه ، كم النبيون ؟

قال : مائة ألف وأربعة وعشرون ألف نبي !

1- يعني : للعبادة.

2- جهد المقل : قدر ما يحتمله قليل المال.

3- للعتق.

قلت : كم المرسلون منهم ؟

قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ! جمَّاً غفيرا (1) .

قلت : من كان أول الأنبياء ؟

قال : آدم.

قلت وكان من الانبياء مرسلا ؟

قال : نعم ! خلقه اللّه بيده ، ونفخ فيه من روحه. ثم قال : يا أبا ذر ! وأربعة من الأنبياء سريانيون. آدم ، وشيث ، وأخنوخ (وهو إدريس) وهو أول من خط بالقلم ، ونوح. وأربعة من الأنبياء من العرب : هود ، وصالح ، وشعيب ، ونبيك محمد (صلى اللّه عليه وآله وسلم). وأول نبي من بني اسرائيل : موسى ، وآخرهم : عيسى بينهما ستمائة نبي.

قلت : يا رسول اللّه ، كم أنزل اللّه من كتاب ؟

قال : مائة كتاب ، وأربعة كتب. أنزل اللّه على شيث ، خمسين صحيفة. وعلى إدريس ثلاثين صحيفة ، وعلى ابراهيم ، عشرين صحيفة ، وانزل التوارة ، والانجيل ، والزبور ، والفرقان.

قال ، قلت : يا رسول اللّه ، فما كانت صُحُف ابراهيم ؟

قال : كانت أمثالا كلها ! وفيها : - أيُّها المِلِكُ المتسلِّط ، المبتلى ، المغرور. إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها الى بعض ، ولكن بعثتك لتردّ دعوة المظلوم ، فاني لا أردّها ، وان كانت من كافر أو فاجر !! وفجوره على نفسه.

وكان فيها : على العاقل - ما لم يكن مغلوبا على عقله - ان يكون له

1- الجم الغفير ، هنا : الكثير البركة.

ساعات ، ساعـة يناجي فيها ربَّه ، وساعة يصـرفها في صـنع اللّه تعالى ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدّم وأخَّر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلاـل في المطعم والمشـرب. فـانَّ هـذه الساعـة عون لتلك الساعات واسـتجمام للقلوب ، وتوديع لها ؟ وعلى العاقل أن يكون طالبا لثلاـث : تزوّد لمعـاد. أو مرمَّة لمعاش. أو لـذة في غير محرّم. وعلى العاقل ، أن يكون بصـيرا بزمانه ، مقبلا على شأنه ، حافظا للسانه. ومن حسب كلامه من عمله ، قلّ كلامه إلا فيما يعنيه.

قلت : يا رسول اللّه ، ما كانت صحف موسى (عليه السلام) ؟

قال : كانت اعتبارا كلها !

عجباً لمن أيقن بالنار ، كيف يضـحك ؟! عجباً لمن أيقن بالموت ، كيف يفرح ؟! عجبا لمن أبصـر الدنيا ، وتقلُّبها بأهلها حالا بعد حال ، ثم يطمئن اليها !؟ عجباً لمن أيقن بالحسنات غدا ، كيف لا يعمل !؟

قلت : يا رسول اللّه ، فهل في أيدينا مما أنزل اللّه عليك ، شيء مما كان في صحف ابراهيم ، وموسى ؟.

قال : إقرأ يا أبا ذر : قـد أفلَـحَ من تَزَكَّى ، وذكَر إسم ربِّه فصـلَّى ، بل تُؤثرونَ الحَياةَ الـدُنيا. والآخرة خير وأبقى إنَّ هذا (يعني ذكر هذه الأربع آيات) لفي الصحف الأولى ، صُحُفِ ابراهيمَ وموسى ..

قلت : يا رسول اللّه ، أوصني.

قال : أوصيك بتقوى اللّه ، فانها رأس أمرِكَ كلِّه.

قلت : يا رسول اللّه : زدني.

قال : عليك بتلاوةِ القرآن ، وذكرِ اللّه كثيرا ، فانه ذكر لك في السماء ، ونور لك في الارض.

قلت : يا رسول اللّه ، زدني.

قال : عليك بالجهاد ، فانه رهبانية أمتي.

قلت : يا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، زدني.

قال : عليك بالصمت ، إلا من الخير ، فانه مطرَدة للشيطان عنك ، وعون لك على أمر دينك.

قلت : يا رسول اللّه ، زدني.

قال : إياك وكثرة الضحك ، فانه يميت القلب ، ويَذهب بنور الوجه.

قلت : يا رسول اللّه ، زدني.

قال : انظر (الى) من هو تَحتك ، ولا تنظر الى من هو فوقك ، فانه أجدر أن لا تزدري نعمة اللّه عليك.

قلت : يا رسول اللّه ، زدني.

قال : صِلْ قرابتك وإن قطعوك ، وأحِبّ المساكين وأكثر مجالستهم.

قلت : يا رسول اللّه ، زدني.

قال : قل الحق ، وان كان عليك مرّاً.

قلت : يا رسول اللّه ، زدني.

قال : لا تَخف في اللّه لومة لائم.

قلت : يا رسول اللّه زدني.

قال : يا أبا ذر ، ليرُدَّك عن الناس ما تعرف من نفسك ، ولا تجد

عليهم فيما يأتي ، فكفى بالرجل عيباً أن يعرف من الناس ما يجهل من نفسه ، ويجد عليهم فيما يأتي.

قال : ثم ضرب بيده على صدري ، وقال : يا أبا ذر ، لا عقل كالتدبير ، ولا ورع كالكفّ ، ولا حسَب كحُسن الخلق (1).

1- تنبيه الخواطر - 2 / 314 الى 316 / ومعاني الاخبار 333 الى 335. وقد وجدت بعضا من مقاطع هذا الحوار في الكامل 1 / ص1. 60 - 124.

أبو ذَرّ العَالِم

نكتفي هنا بعرض لما قيل وكتب حول علم أبي ذر (رضي اللّه عنه) فان في ذلك صورة واضحة عما يتمتع به هذا الصحابي الجليل من العلم والفضل.

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : وعى علماً عُجز فيه ، وكان شحيحا حريصا على دينه ، حريصا على العلم ، وكان يكثر السؤال ، فيعطى ويمنع ، أما أن قد ملئ في وعائه حتى امتلأ.

وقال أبو نعيم في الحلية : أول من تكلم في علم البقاء والفناء ، وثبت على المشقة والعناء وحفظ العهود والوصايا ، وصبر على المِحَن والرزايا .. الى أن قال : أبو ذر الغفاري رضى اللّه عنه خدم الرسول وتعلم الاصول ، ونبذ الفُضول.

وقال ابن حجر في الإصابة : كان يوازي ابن مسعود في العلم (1).

وجاء في كتاب فنون الاسلام ، في أول من جمع حديثا الى مثله في باب واحد ، وعنوان واحد من الصحابة الشيعة ، وهم : أبو عبد اللّه سلمان الفارسي ، وأبو ذر الغفاري (رضي اللّه عنه) وقد نص على ذلك ، رشيد الدين بن شهر آشوب في كتابه : معالم علماء الشيعة. وذكر الشيخ أبو جعفر الطوسي

1- الغدير 8 / 311 - 312.

شيخ الشـيعة ، والشيخ أبو العباس النجاشي في كتابيهما ، في فهرست اسماء المصنفين من الشيعة ، مصنفاً لأبي عبد اللّه سلمان الفارسي ، ومصـنفاً لأبي ذر الغفاري ، وأوصلا اسنادهما الى رواية كتاب سلمان ، وكتاب أبي ذر ، وكتاب سلمان : كتاب حديث الجاثليق. وكتاب أبي ذر : كتاب كالخطبة ، يشرح فيه الامور بعد رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) الخ (1) ..

وقـد ذكر بعض الاعلاـم : « أنه كـان بينه وبين عثمـان مشاجرة في مسألـة من مسائل الزكاة ، فتحاكما عنـد رسول اللّه (صـلى اللّه عليه وآله وسلم) فحكم لأبي ذر على عثمان » (2).

1- كتاب الشيعة وفنون الاسلام / 31.

2- رجال بحر العلوم 2 / 151.

الزّاهد المتعبِّد

في حلية الاولياء بسنده عن أبي ذر ، قال :

واللّه لو تعلمون ما أعلم ، ما انبسطتم الى نسائكم ، ولا تقَاررتهم على فرشكم ، واللّه لوددت أن اللّه عز وجل خلقني ، يوم خلقني – شجرة تُعضد ، ويؤكل ثمرها.

وروى الصدوق في الخصال بسنده ، عن الصادق (عليه السلام) عن أبيه قال :

بكى أبو ذر من خشية اللّه عز وجل ، حتى اشتكى بصره !

فقيل له : يا أبا ذر ! لو دعوت اللّه أن يشفي بصرك !؟

فقال : اني عنه لمشغول ! وما هو من أكبر همي. قالوا : وما يشغلك ؟

قال : العظيمتان ! الجنة والنار !!.

قال أبو ذر : من جزى اللّه عنه الدنيا خيرا ! فجزاها اللّه عني مذمة ، بعد رغيفي شعير ، أتغدى بأحدهما ، وأتعشى بالآخر ، وبعد شملتي صوف ، أتَّزر باحداهما ، وأرتدي بالأخرى.

وقال : كان قوتي على عهد رسول اللّه من تمر ، فلست بزائد عليه حتى ألقى اللّه !

ص: 173

عن عيسى بن عميلة الفزاري قال : أخبرني من رأى أبا ذر يحلب غُنيمة له ، فيبدأ بجيرانه وأضيافه قبل نفسه ، ولقد رأيته ليلة حلب حتى ما بقي في ضروع غنمه شيء ، إلا مَصَره وقرَّب اليهم تمراً ، وهو يسير ، ثم تعذر اليهم وقال : لو كان عندنا ما هو أفضل من هذا ، لجئنا به ! وما رأيته ذاق تلك الليلة شيئاً.

وقيل له : ألا تتَّخذ ضيعة ، كما إتَّخذ فلان وفلان !؟

قال : وما أصنع ، بأن أكون أميرا ؟ وانما يكفيني كل يوم شربه ماء أو لبن ، وفي الجمعة قفيز من قمح.

قال أبو ذر : يولدون للموت ، ويعمرون للخراب ، ويحرصون على ما يفنى ، ويتركون ما يبقى ألا حبذا المكروهان : الموت ، والفقر (في سبيل اللّه).

عن ابي جعفر (عليه السلام) قال : أتى أبا ذر رجل يبشره بغنم له قد ولدت. فقال : يا أبا ذر ! أبشر فقد ولدت غنمك ، وكثرت !

فقال : ما يسرّني كثرتها ، وما أحب ذلك ! فما قلَّ وكفى ، أحب اليّ مما كَثر وألهى ! اني سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول : على حافتيّ الصراط يوم القيامة : الرحم ، والامانة ، فاذا مرَّ عليه الوصول للرحم ، المؤدي للأمانة ، لم يتكفأ به في النار.

وقيل له عند الموت : يا أبا ذر ، ما لك. ؟

قال : عملي !

قالوا : إنا نسألك عن الذهب والفضة. !

قال : ما أصبح ، فلا أمسى ، وما أمسى فلا أصبح ، لنا كندوج (1)

1- هذا الفصل اخذناه من أعيان الشيعة 16 ص 326 الى 331. الكندوج : لفظ معرب ، معناه : الخزانة.

ندع فيه خير متاعنا ، سمعت حبيبي رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول : كندوج المرء ، قبره (1).

وفي حلية الاولياء ، بسنده ، عن محمد بن سيرين ، قال :

« بلغ الحارث (رجلا كان بالشام) أن أبا ذر به عوز ، فبعث اليه بثلاثمائة دينار.

فقال : ما وجد عبداً لله تعالى هو أهون عليه مني ؟ سمعت رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) يقول : (من سأل ، وله أربعون ، فقد ألحف !) ولآل أبي ذر أربعون درهماً ، وأربعون شاة.

من فضائله

ما روي عن أبي عبد اللّه الصادق (عليه السلام) قال :

دخل أبو ذر على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، ومعه جبرئيل ، فقال جبرئيل : من هذا يا رسول اللّه ؟

قال : أبو ذر.

قال : أما انه في السماء أعرف منه في الأرض ، وسله عن كلمات يقولهن اذا أصبح ، قال : فقال : يا أبا ذر ، كلمات تقولهن اذا أصبحتَ ، فما هنَّ ؟

قال : أقول ، يا رسول اللّه : (اللّهم اني أسألك الايمان بك ، والتصديق بنبيك ، والعافية من جميع البلايا ، والشكر على العافية ، والغنى عن شرار الناس (2)).

1- معجم رجال الحديث 4 / 171.

2- نفس المصدر 4 / 168.

مِن كَلاَمه

روي عن أبي جعفر (الباقر) عليه السلام قال :

قام أبو ذر رضى اللّه عنه ، بباب الكعبة ، فقال : أنا جندب بن جنادة الغفاري ، هلموا الى أخ ناصح شفيق.

فاكتنفه الناس ، فقالوا : قد دعوتنا ، فانصح لنا.

قال : لو أن أحدكم أراد سفرا ، لأعدَّ فيه من الزاد ما يصلحُهُ ، فما لكم لا تزوّدون لطريق القيامة ، وما يصلحكم فيه ؟

قالوا : كيف نتزوّد لذلك ؟

فقال : يحج الرجل حجة لعظام الامور ، ويصوم يوما شديد الحرّ ليوم النشور ، ويصلي ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور. ويتصدق بصدقة على مسكين لنجاة من يوم عسير.

يا ابن آدم ! اجعل الدنيا مجلسين ، مجلساً في طلب الحلال ، ومجلساً للآخرة ، ولا تزد الثالث ، فانه لا ينفعك. واجعل الكلام كلمتين ، كلمة للآخرة ، وكلمة في إلتماس الحلال ، والثالثة تضرّك. واجعل مالك درهمين ، درهماً تنفقه على عيالك ، ودرهماً لآخرتك ، والثالث لا ينفعك. واجعل الدنيا ساعة من ساعتين ، ساعة مضت بما فيها ، فلست قادراً على ردِّها ، وساعة آتية لست على ثقة من ادراكها ، والساعة التي أنت فيها ساعة عملك ،

فاجتهد فيها لنفسك ، وإصبر فيها عن معاصي ربِّك ! فان لم تفعل ، فقد هلكت !.

ثم قال : قتلني همّ يوم لا أدركه (1).

وعن أبي عبد اللّه الصادق ، عن أبيه عليهماالسلام أنه قال :

في خطبة أبي ذر : يا مبتغي العلم ، لا يشغلك أهل ولا مال عن نفسك. أنت يوم تفارقهم كضيف بتَّ فيهم ثم غدوت الى غيرهم. الدنيا والآخرة كمنزل تحولت منه الى غيره. وما بين البعث والموت ، إلا كنومة نمتها ، ثم استيقضت منها.

يا جاهل العلم تعلَّم ، فانَّ قلباً ليس فيه شرف العلم ، كالبيت الخراب الذي لا عامرَ له.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام ، عن أبي ذر قال :

يا باغي العلم ، قدّم لمقامك بين يدي اللّه ، فانك مرتهن بعملك ، كما تدين تُدان.

يا باغي العلم ، صلِّ قبل أن لا تقدر على ليل ولا نهار تصلي فيه ! إنما مَثلُ الصلاة لصاحبها ، كمثل رجل دخل على ذي سلطان فأنصتَ له حتى فرغ من حاجته. وكذا المرء المسلم باذن اللّه عزَّ وجلّ ، ما دام في الصلاة ، لم يزل اللّه عز وجل ينظر اليه حتى يفرغ من صلاته.

يا باغي العلم ، تصدّق من قبلِ أن لا تُعطى شيئا ، ولا جميعه ، إنما مَثل الصدقة لصاحبها ، مَثلُ رجل طلبه قوم بدم ، فقال لهم. لا تقتلوني ،

1- تنبيه الخواطر 2 / 274.

إضـربوا اليّ أجلا أسـعى في رجالكم ! كـذلك المرء المسـلم باذن اللّه ، كلما تصـدق بصدقة ، حلَّ بها عقدة من رقبته ، حتى يتوفى اللّه عز وجل أقواماً وهو عنهم راض ، ومن رضي اللّه عز وجل عنه ، فقد أمن من النار.

يا باغي العلم ، إن هذا اللسان مفتاح خير ، ومفتاح شر ، فاختم على فمك كما تختم على ذَهبك وعلى وَرِقِك.

يا باغي العلم ، إن هذه الأمثال ضربها اللّه عز وجل للناس ، وما يعقلها إلا العالمون (1). !

1- تنبيه الخواطر - 2 / 316.

وَصفه لآخر الزمَان

في حلية الأولياء ، بسنده عن أبي ذر ، قال :

ليأتين عليكم زمان ، يغبط الرجل فيه بخفة الحاذ (1) كما يغبط اليوم فيكم أبو عشرة.

وروى الحاكم في المستدرك ، بسنده .. عن أبي ذر ، عن رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) ، قال :

« اذا اقترب الزمـان ، كثر لبس الطيالسـة ، وكثرت التجارة ، وكثر المال ، وعَظُم ربّ المال بماله ، وكثرت الفاحشـة ، وكانت إمارة الصبيان ، وكثر النساء ، وجار السلطان ، وطُفِّفَ في المكيال والميزان ، ويربي الرجل جرو كلب ، خير له من أن يربي ولدا له ! ولا يُوَقَّرُ كبير. ولا يُرحم صغير ، ويكثر أولاد الزنا ، حتى أن الرجل ليغشى المرأة على قارعة الطريق ، فيقول أمثلهم في ذلك الزمان : لو اعتزلتما عن الطريق !!

ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب ، أمثلهم في ذلك الزمان ، المداهن. ! »(2)

1- الحاذ : الظهر. كنى به عن قلة المال والولد.

2- أعيان الشيعة 16 / 469 ط الاولى.

الفصل الخَامِس

اشارة

وَصية النّبي الأعظم صلى اللّه عليه و آله

لأبي ذَرّ الغفاري رضى اللّه عنه

ذكرناها بطولها ، وتمامها لما تشتمل عليه من غرر الحكم النبوية. وهي بذاتها تصلح لأن تدرس بشكل مستقل ، لكن السرعة في انجاز هذا الكتاب حالت دون ذلك.

وقد نقلتها عن كتاب (تنبيه الخواطر) للأمير الزاهد ، ابي الحسين ورام ابن أبي فراس المالكي. راجع ص 300 الى ص 314 الجزء الثاني. أسأل اللّه سبحانه أن ينفعنا بها.

ص: 181

وَصية النّبي الأعظم صلى اللّه عليه و آله لأبي ذَرّ الغفاري رضى اللّه عنه

في مجموعة ورام (تنبيه الخواطر) :

أبو حرب ابن أبي الأسود الدؤلي ، عن أبيه قال : قدمت الربذة ، فدخلت على أبي ذر جندب بن جنادة ، فحدثني أبو ذر فقال :

دخلت ذات يوم في صدر نهاره على رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) في مسجده ، فلم أر في المسجد أحداً من الناس إلا رسول اللّه (صلى اللّه عليه وآله وسلم) وعليّ (عليه السلام) الى جانبه جالس ، فاغتنمت خُلوة المسجد ، فقلت : يا رسول اللّه ، بأبي أنت وأمي ، أوصني بوصية ينفعني اللّه بها.

فقال (صلى اللّه عليه وآله وسلم) : نعم وأكرم بك يا أبا ذر ، إنك منَّا أهل البيت ، وإني موصيك بوصية ، فاحفظها ، فانها جامعة لطرق الخير ، وسُبُله ، فانك إن تحفظها ، كان لك بها كِفل (1) .

يا أبا ذر : أعبد اللّه كأنك تراه. فان كنت لا تراه ، فانه عزَّ وجل يراك ، واعلم أن أول عبادة اللّه المعرفة به. إنه الأول قَبل كل شيء ، فلا شيء قبله ، والفرد ، فلا ثاني معه ، والباقي لا الى غاية ، فاطر السموات والأرض وما فيهما ، وما بينهما من شيء ، وهو اللطيف الخبير. وهو على

1- الكفل : الحظ والنصيب ، أو ما يحفظ به الانسان.

كل شيء قدير. ثم الإيمان بي ، والإقرار بأنَّ اللّه عزّ وجل أرسلني الى كافة الناس ، بشيراً ونذيراً ، وداعياً الى اللّه باذنه وسراجاً منيراً ، ثم أحِبَّ أهل بيتي الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

واعلم يا أبا ذر : أنّ اللّه جعل أهل بيتي كسفينة النجاة في قوم نوح ، من ركبها نجى ، ومن رَغِبَ عنها غَرِق ، ومثل باب حِطَّة في بني اسرائيل ، من دخله كان آمنا.

يا أبا ذر : أحفظ ما أوصيك به ، تكن سعيداً في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر : نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ.

يا أبا ذر : إغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هَرَمِك ، وصِحتك قبل سَقَمِك وغِنَاكَ قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك.

يا أبا ذر : إيَّاك والتسويف بأمَلِك ، فانك بيومك ، ولست بما بعده ، فان يكن غد لك ، فكن في الغد كما كنت في اليوم ، فان لم يكن غد لك ، لم تندم على ما فرَّطت في اليوم.

يا أبا ذر : كم من مستقبل يوماً لا يستكمله ، ومنتظر غداً لا يبلغه.

يا أبا ذر : لو نظرت الى الأجل ومسيره ، لأبغضت الامل وغروره.

يا أبا ذر : كن في الدنيا كأنك غريب ، أو كعابر سبيل ، وعُدّ نفسك في أهل القبور.

يا أبا ذر : اذا أصبحت ، فلا تحدِّث نفسك بالمساء ، واذا أمسيت فلا تحدِّث نفسك بالصباح ، وخذ من صحتك قَبلَ سَقَمِك ، ومن حياتك قبل موتك ، فانك لا تدري ما اسمك غداً.

يا أبا ذر : إيَّاكَ أن تـدركك الصـرعة عنـد الغِرّة ، فلا تُمَكَّن من الرجعـة ، ولا يَحمَدُك من خلّفت بما تركت ، ولا يَعذرك من تُقدِم عليه بما به اشتغلت.

يا أبا ذر : ما رأيتُ كالنار نام هاربها ، ولا كالجنة نام طالبها.

يا أبا ذر : كن على عمرك أشحَّ منك على درهمك ودينارك.

يا أبا ذر : هل ينتظر أحدكم إلا غنى مطغيا ، أو فقرا منسـيا ، أو مرضا مزمناً أو هرماً مفنياً ، أو موتا مجهزاً ، أو الدجَّال فانه شر غائب ينتظر ، أو الساعة ، والساعة أدهى وأمر.

يا أبا ذر : ان شرَّ الناس عند اللّه عز وجل يوم القيامة ، عالم لا ينتفع بعلمه ، ومن طلب علماً ليصِرف به وجوه الناس اليه لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر : من ابتغى العلم ليخدع به الناس ، لم يجد ريح الجنة.

يا أبا ذر : اذا سئلت عن علم لا تعلمه ، فقل : لا أعلمه ، تنج من تبعته ، ولا تفت الناس بما لا علم لك به ، تنج من عذاب يوم القيامة.

يا أبا ذر : تطلَّع قوم من أهل الجنـة الى قوم من النار ، فيقولون : ما أدخلكم النار ؟ وإنما دخلنا الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم ! فيقولون : إنا كنا نأمر بالمعروف ولا نفعله ..

يا أبا ذر : إن حقوق اللّه أعظم من أن يقوم بها العباد ، وان نعم اللّه عز وجل أكثر من أن يحصيها العباد ، ولكن أمسوا تائبين وأصبحوا تائبين.

يا أبا ذر : إنكم في ممرِّ الليل والنهار في آجال منقوصـة ، وأعمال محفوظة ، والموت يأتي بغتة ، فمن يزرع خيراً يوشك أن يحصد زرعه ومن يزرع شراً ، يوشك أن يحصد ندامة ، ولكل زارع ما زرع.

يا أبا ذر : لا يسبق بطيء بحظه ، ولا يدرك حريص ما لم يقدر له ،

ومن أعطى خطراً ، فاللّه عزوجل أعطاه ، ومن وقى شراً فاللّه عزوجل وقاه.

يا أبا ذر : المتَّقون سادة ، والفقهاء قادة ، ومجالستهم زيادة.

يا أبا ذر : إن المؤمن ليرى ذنبه كأنه تحت صخرة ، يخاف أن تقع عليه ، والكافر يرى ذنبه كأنه ذباب مرَّ على أنفه.

يا أبا ذر : إن اللّه تبارك وتعالى اذا أراد بعبد خيراً جعل الذنوب بين عينيه مُمَثَّلة. والإثم عليه ثقيلا وبيلا. واذا أراد اللّه بعبده شراً أنساه ذنوبه.

يا أبا ذر : لا تنظر الى صِغَر الخطيئة ، ولكن انظر الى من عصيت.

يا أبا ذر : إنَّ نفس المؤمن أشدّ تقلُّباً من الخطيئة ، من العصفور حين يقذف به في شَرَكِه.

يا أبا ذر : من وافق قوله فعله ، فذلك الذي أصاب حظه ، ومن خالف قوله فعله فانما يوبِّخ نفسه.

يا أبا ذر : إن الرجل ليُحرَم الرزق بالذنب يصيبه.

يا أبا ذر : إنك اذا طلبت شيئا من الدنيا ، وابتغيته ، وعسِر عليك ، فان لك على كل حال حسنة.

يا أبا ذر : لا تنطق فيما لا يعنيك ، فانك لست منه في شيء ، واخزِن لِسانك كما تخزِن رزقك.

يا أبا ذر : إن اللّه جل ثناؤه ليدخل قوماً الجنة فيعطيهم ، حتى تنتهي أمانيهم. وفوقهم قوم في الدرجات العلى فاذا نظروا اليهم عرفوهم فيقولون : ربنا اخواننا كنا معهم في الدنيا ، فَبِمَ فضَّلتهم علينا ؟ فيقال : هيهات ، انهم كانوا يجوعون حين تشبعون ، ويضمئون حين تُروون ،

ويقومون حين تنامون ، ويُشخصون (1) حين تَخفِضون.

يا أبا ذر : ان اللّه تعالى جعل قُرَّة عيني في الصلاة ، وحبَّبَها اليّ كما حبَّب الى الجائع الطعام والى الظمآن الماء. وإن الجائع اذا أكل الطعام شبع ، واذا شرب روي ، وأنا لا أشبع من الصلاة.

يا أبا ذر : ان اللّه تعالى بعث عيسى ابن مريم (عليه السلام) بالرهبانية ، وبُعثتُ بالحنيفية السمحة ، وحبَّب اليّ النساء والطيب وجعل في الصلاة قرة عيني.

يا أبا ذر : أيما رجل تطوع في كل يوم اثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة ، كان له حقاً واجباً بيت في الجنة.

يا أبا ذر : صلاة في مسجدي هذا تَعدِل ألف صلاة في غيره من المساجد ، إلا المسجد الحرام ، وصلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة في غيره. وأفضل من هذا كله صلاة يصليها الرجل في بيته حيث لا يراه إلا اللّه عز وجل يطلب بها وجه اللّه عز وجل.

يا أبا ذر : ما دمت في الصلاة ، فانك تقرع بابَ المِلك ، ومن يُكثر قرع باب الملك فانه يُفتح له.

يا أبا ذر : ما من مؤمن يقوم للصلاة إلا تناثر عليه البِرّ ما بينه وبين العرش ، ووكِّل به ملك ينادي ، يا ابن آدم : لو تعلم ما لك في صلاتك ومن تناجي ، ما سئمت ولا التفت.

يا أبا ذر : طوبى لأصحاب الألوية يوم القيامة ، يحملونها فيسبقون

1- يمكن أن يكون المقصود بالاشخاص : جشوبة العيش ، في قبال الخفض ، وهو سهولة العيش. ويحتمل أن يراد بالاشخاص هنا عدم الاستقرار ، في قبال الخفض وهو الاقامة في المكان.

الناس الى الجنة ، ألا وهم السابقون الى المساجد ، بالأسحار وغيرها.

يا أبا ذر : لا تجعل بيتك قبراً ، واجعل فيه من صلاتك ما تضيء لك قبرك.

يا أبا ذر : الصلاة عماد الدين ، واللسان أكبر ، والصدقة تمحو الخطيئة ، واللسان أكبر (1).

يا أبا ذر : الدرجة في الجنة فوق الدرجة ، كما بين السماء والأرض. وان العبد ليرفَعُ بصره فيلمع له نور يكاد يخطِف بصرَه ، فيفزع لذلك فيقول : ما هذا ؟ فيقال : هذا نور أخيك المؤمن ! فيقول : أخي فلان كنَّا نعمل جميعاً في الدنيا ، وقد فُضِّل عليّ هكذا ؟ فيقال : إنه كان أفضل منك عملا ، ثم يُجعل في قلبه الرضا حتى يرضى.

يا أبا ذر : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ، وما أصبح فيها مؤمن إلا وهو حزين ! فكيف لا يحزن ، وقد أوعد اللّه أنه وارد جهنم ، ولم يعده أنه صادر منها ، وليلقين أمراضاً ومصيبات وأموراً تغيضه ، وليُظلمنَّ فلا ينتصر ، يبتغي ثواباً من اللّه ، فما يزال فيها حزيناً حتى يفارقها ، فاذا فارقها أفضى الى الراحة والكرامة.

يا أبا ذر ما عُبِدَ اللّه على مثل طول الحزن.

يا أبا ذر : من أوتي من العلم ما لا يعمل به ، لحقيق أن يكون أوتي علماً لا ينفعه اللّه به ، لأن اللّه عز وجل نعت العلماء فقال : إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ويقولون : وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ، وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ.

1- ربما يكون المقصود باللسان هنا : الكلام الذي ينفع الناس ، كالوعظ والارشاد والتعليم.

يا أبا ذر : من استطاع أن يبكي ، فليَبكِ ، ومن لم يستطع فليُشعر قلبه الحزن وليتباكَ ، إن القلب القاسي بعيد من اللّه ولكن لا يشعرون.

يا أبا ذر : ما من خطيب يخطب إلا عرضت عليه خطبته يوم القيامة ، وما أراد بها.

يا أبا ذر : إنَّ فضل الصلاة النافلة في السِّر على العلانية ، كفضل الفريضة على النافلة.

يا أبا ذر : ما يتقرّب العبدُ الى اللّه بشيء ، أفضل من السجود الخفيِّ.

يا أبا ذر : أذكر اللّه ذكراً خاملا ! قلت : يا رسول اللّه وما الخامل ؟ قال : الذكر الخفي.

يا أبا ذر : يقول اللّه تعالى : لا أجمعُ على عبدي خوفين ، ولا أجمع له أمنين فاذا أمنني في الدنيا ، أخفته في الآخرة ، واذا خافَني في الدنيا ، أمَّنته يوم القيامة.

يا أبا ذر : لو أن رجلا كان له عمل سبعين نبياً لاحتقره وخشي أن لا ينجو من شر يوم القيامة.

يا أبا ذر : إن الرجل لتُعرض عليه ذنوبه يوم القيامة ، فيقول : أما اني كنت منك مشفقاً ، فيُغفر له.

يا أبا ذر : إن الرجل ليعمل الحسنة ، فيتكل عليها ، ويعمل المحقَّرات (1) فيأتي اللّه وهو من الأشقياء ، وان الرجل ليعمل السيئة ، فيفرق (2) منها ، فيأتي اللّه آمناً يوم القيامة.

1- صغائر الذنوب.

2- يخاف.

يا أبا ذر : إن العبد ليذنب فيدخل بذنبه ذلك الجنة ! قلت : وكيف ذلك بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه ؟ قال : يكون ذلك الذنب نصب عينيه تائباً منه ، فارّاً الى اللّه عز وجل حتى يدخل الجنة.

يا أبا ذر : ان الكيَّس من الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على اللّه عز وجل الأماني.

يا أبا ذر : إن اللّه عز وجل أول شيء يرفع من هذه الأمة ، الأمانة والخشوع ، حتى لا تكاد ترى خاشعاً.

يا أبا ذر : والذي نفس محمد بيده ، لو أن الدنيا كانت تعدل عند اللّه جناح بعوضه ، ما سقى الفاجر منها شربة ماء.

يا أبا ذر : إن الدنيا ملعونة. ملعون ما فيها ، إلا ما ابتغي به وجه اللّه.

يا أبا ذر : ما من شيء ابغض الى اللّه من الدنيا ، خلقها ثم أعرض عنها ، ولم ينظر اليها ولا ينظر اليها حتى تقوم الساعة ، وما من شيء أحب الى اللّه عز وجل من ايمان به ، وترك ما أمر أن يترك.

يا أبا ذر : إن اللّه جل ثناؤه أوحى الى أخي عيسى (عليه السلام) : يا عيسى لا تحب الدنيا ، فاني لست أحبُّها ، وأحبَّ الآخرة فانها هي دار المعاد.

يا أبا ذر : إن جبرئيل (عليه السلام) أتاني بخزائن الدنيا على بغلة شهباء ، فقال لي : يا محمد هذه خزائن الدنيا ، ولا ينقصك من حظك عند ربِّك ! قال : فقلت : حبيبي جبرئيل ، لا حاجة لي فيها. اذا جعتُ سألت ربي. واذا شبعت شكرته.

يا أبا ذر : اذا أراد اللّه بعبد خيراً فقَّهه في الدين. وزهَّده في الدنيا ، وبصَّره بعيوب نفسه.

يا أبا ذر : ما زَهِد عبد في الدنيا إلا أثبت اللّه الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه وبصَّره عيوب الدنيا ، ودائها ودوائها ، وأخرجه منها سالماً الى دار السلام.

يا أبا ذر : اذا رأيت أخاك قد زهد في الدنيا ، فاستمع منه ، فانه يلقي اليك الحكمة. فقلت : يا رسول اللّه ، من أزهد الناس ؟ قال : من لم ينس المقابر والبلى وتركَ ما يفنى لما يبقى ، ومن لم يعدّ غداً من أيامه ، وعدَّ نفسه في الموتى.

يا أبا ذر : ان اللّه لم يوحِ الي أن إجمع المال. ولكن أوحى الي : أن سبِّح بحمد ربك ، وكن من الساجدين ، واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين.

يا أبا ذر : إني ألبس الغليظ ، وأجلس على الأرض ، وألعق أصابعي ، وأركب الحمار بغير سرج ، وأردُف خلفي ، فمن رغب عن سنتي ، فليس مني.

يا أبا ذر : حُبّ المال والشرف ، أذهب لدينِ الرجل من ذئبين ضاريين في زريبة الغنم ، فأغارا فيها حتى أصبحا : فماذا أبقيا منها ؟ قال : قلت : يا رسول اللّه : الخائفون الخاضعون المتواضعون الذاكرون اللّه كثيراً ، يَسبقون الناس الى الجنة ؟ فقال : لا ، ولكن فقراء المؤمنين ، فانهم يأتون فيتخطونَ رقاب الناس الى الجنة ، فيقول لهم خزنة الجنة : كما أنتم ، حتى تحاسبوا ؟ فيقولون : بمَ نُحاسَب ؟ فواللّه ، ما ملكنا فنجود ، أو نعدل ! ولا أفيض علينا ، فنقبِضَ أو نبسطُ ، وكنا نعبد ربِّنا حتى أتانا اليقين.

يا أبا ذر : الدنيا مشغلة للقلب والبدن ، وانَّ اللّه عز وجل يسئل أهل الدنيا عما نعموا في حلالها ، فكيف بما تنعَّموا في حرامها.

يا أبا ذر : إني قد سألت اللّه عز وجل أن يجعل رزق من أحبَّني الكفاف ، ويعطي من يبغضني كثرة المال والولد.

يا أبا ذر : طوبى للزاهدين في الدنيا ، والراغبين في الآخرة ، الذين اتخذوا أرض اللّه بساطاً ، وترابها فراشاً ، ومائها طيباً ، واتخذوا الكتاب شعاراً ، والدعاء لله عز وجل دثاراً ، وقرضوا الدنيا قرضاً.

يا أبا ذر : حَرْثُ (1) الآخرة العمل الصالح ، وحَرثُ الدنيا ، المال والبنون.

يا أبا ذر : إن ربي تبارك وتعالى أخبرني ، فقال : وعزتي وجلالي ما أدرك العابدون درك البكاء عندي شيئا ، واني لأبنينَّ لهم في الرفيق الأعلى قصراً لا يشركهم فيه ! قال ، قلتُ : يا رسول اللّه ، أيّ المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم للموت ذكرا ، وأحسنهم له استعدادا.

يا أبا ذر : اذا دخل النور القلب ، انفسح القلب ، واستوسع ، قلت : فما علاقة ذلك ؟ بأبي أنت وأمي يا رسول اللّه ؟ قال : الإنابة الى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله.

يا أبا ذر : إتق اللّه ، ولا تُر الناس أنك تخشى اللّه ، فيكرموك وقلبُك فاجر.

يا أبا ذر : ليكن لك في كلِّ شيء نيَّة ، حتى في الأكل والنوم.

يا أبا ذر : ليعظم جلال اللّه في صدرك ، فلا تذكره كما يذكره الجاهل عند الكلب : اللّهم إخزِه ، وعند الخنزير اللّهم إخزِه.

1- الحرث : ما يكسبه الانسان.

يا أبا ذر : ان للهِ ملائكـة قياماً في خيفته لا يرفعون رؤوسـهم حتى يُنفـخَ في الصور النفخة الأخيرة ، فيقولون جميعاً : سـبحانك وبحمدك ما عبدناك كما ينبغي لك أن تُعبد ، فلو كان لرجل عمل سبعين صدِّيقاً ، لإستقلَّ عمله من شدة ما يَرى يومئذ ، ولو أن دلواً صُبّ من غِسلين في مطلع الشـمس ، لغلَت منه جماجم من في مغربها ، ولو زَفرت جهنم زفرة لم يبقَ ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا خرّ جاثياً لركبتيه يقول : يا ربِّ نفسي نفسي حتى ينسى إبراهيم إسحاق ، يقول : يا رب أنا خليلك ، فلا تنسني.

يا أبا ذر : لو أن امرأة من نساء أهل الجنـة إطَّلعت من سـماء الدنيا في ليلة ظلماء ، لأضاءت لها الارض كما تضـيء ليلة البدر ، ولوَجد ريح نشرِها جميع أهل الأرض ، ولو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنة نُشِر اليوم في الدنيا ، لصعِق من ينظر اليه ، وما حملته أبصارهم.

يا أبا ذر : اخفض صوتك عند الجنائز وعند القتال وعند القرآن.

يا أبا ذر : اذا اتبعت جنازة فليكن عملك فيها التفكر والخشوع ، وإعلم أنك لاحق به.

يا أبا ذر : إعلم أن كل شـيء اذا فسد ، فالملح دواؤه ، واذا فسد الملح فليس له دواء (1). وإعلم ان فيكم خُلقين : الضحك من غير عجب ، والكسل من غير سهر.

1- يشـير فيها (صـلى اللّه عليه وآله وسـلم) الى كون العلماء هم المصـلحون في المجتمع ، ومتى ما فسد العلماء فانه لا يصـلحهم أحد (هكذا روي).

يا أبا ذر : ركعتان مقتصدتان في تفكر ، خير من قيام ليلة والقلب ساهي.

يا أبا ذر : الحقّ ثقيل مرّ. والباطل خفيف حلو ، ورُبَّ شهوة ساعة تورث حزناً طويلا.

يا أبا ذر : لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يرى أن الناس في جنب اللّه أمثال الأباعر ، ثم يرجع الى نفسه ، فيكون هو أحقر حاقر لها.

يا أبا ذر : لا يصيب الرجل حقيقة الإيمان حتى يرى الناس كلهم حمقى في دينهم ، عقلاء في دنياهم.

يا أبا ذر : حاسِب نفسك قبل أن تُحاسب ، فانه أهون لحسابك غـداً. وزِنْ نفسك قبل أن توزن ، وتجَّهز للعرض الأكبر يوم تُعرض ، لا يخفى على اللّه منك خافية.

يا أبا ذر : إستحي من اللّه ، فاني والذي نفسي بيده ، لأظل حين اذهب الى الغائط متقنعاً بثوبي ، إستحياء من الملائكة الذين معي.

يا أبا ذر : أتحب ان تدخل الجنة ؟ قلت : نعم فداك أبي وأمي. قال : أقصـر من الأمل ، واجعل الموت نَصبَ عينيك ، واسـتحي من اللّه حق الحياء ، قال ، قلت : يا رسول اللّه ، كلنا نسـتحي من اللّه. قال : ليس كـذلك الحياء ، ولكن الحياء أن لا تنسـى المقابرَ والبلى ، والجوفَ وما وعى والرأس وما حوى ، فمن أراد كرامة الآخرة ، فليدع زينة الدنيا ، فاذا كنت كذلك أصبت ولاية اللّه عز وجل.

يا أبا ذر : يكفي من الدعاء مع البر ، ما يكفي الطعام من الملح.

يا أبا ذر : مثل الذي يدعو بغير عمل كمثل الذي يرمي بغير وتر.

يا أبا ذر : إن اللّه تعالى يُصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده ، ويحفظه اللّه في دويرته والدور حوله ما دام فيهم.

يا أبا ذر : إن ربك عز وجل يباهي الملائكة بثلاثة نفر. رجل يصبح في أرض قفر فيؤذِّن ثم يقيم ثم يصلي ، فيقول ربك عز وجل للملائكة : انظروا الى عبدي يصلي ولا يراه أحد غيري ، فينزل سبعون ألف ملك يُصلُّون وراءه ويستغفرون له الى الغد من ذلك اليوم. ورجل قام من الليل فصلى وحده ، فسجد ونام وهو ساجد. فيقول اللّه انظروا الى عبدي روحه عندي وجسده ساجد. ورجل في زَحف ، فيفرّ أصحابه ويثبت هو يقاتل حتى يقتل.

يا أبا ذر : ما من رجل يجعل جبهته في بقعة من بقاع الأرض إلا شهدت له بها. وما من منزل ينزله قوم ، إلا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم.

يا أبا ذر : ما من صباح ولا رواح إلا وبقاع الارض تنادي بعضها بعضا : يا جارة ، هل مرّ بك اليوم ذاكر لله تعالى ، أو عبد وضع جبهته عليك ساجداً لله تعالى ، فمن قائلة : لا. ومن قائلة نعم. فاذا قالت نعم : اهتزت وابتهجت وترى أن لها فضلا على جارتها.

يا أبا ذر : ان اللّه لما خلق الارض ، وخلق ما فيها من الشجر لم يكن في الارض شجرة يأتيها بنو آدم إلا أصابوا منها منفعة ، فلم تزل الأرض والشجر كذلك. حتى تكلم فجرة بني آدم بالكلمة العظيمة قولهم : إتخذ اللّه ولداً سبحانه ، فلما قالوا ، إقشعرت الارض ، وذهبت منفعة الأشجار.

يا أبا ذر : ان الارض لتبكي على المؤمن اذا مات أربعين صباحاً.

يا أبا ذر : اذا كان العبـد في أرض قي – يعني قفر – فتوضأ ، أو تيمم ، ثم أذّن وأقام وصـلى ، أمر اللّه عز وجل الملائكة فصـفوا خلفه صـفاً لا يرى طرفاه ، يركعون بركوعه ، ويسجدون بسجوده ، ويؤمِّنون على دعائه.

يا أبا ذر : من أقام ولم يؤذِّن ، لم يصل معه إلا ملكاه اللذان معه.

يا أبا ذر : ما عَمِلَ ، من لم يحفظ لسانه.

يا أبا ذر : ما مِن شابّ يدَع لذة الدنيا ولهوها ، وأهرَمَ شبابه في طاعة اللّه ، إلا أعطاه اللّه أجر اثنين وسبعين صِدِّيقاً.

يا أبا ذر : الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارّين.

يا أبا ذر : الجليس الصالح ، خير من الوحدة. والوحدة خير من جليس السوء. وإملاء الخير ، خير من السـكوت ، والسـكوت خير من إملاء الشر.

يا أبا ذر : لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي ، ولا تأكل طعام الفاسقين.

يا أبا ذر : إطعم طعامك من تحبه في اللّه ، وكل طعام من يحبك في اللّه.

يا أبا ذر : ان اللّه عند لسان كل قائل ، فليتق اللّه امرؤ وليعلم ما يقول.

يا أبا ذر : اترك فضول الكلام ، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك.

يا أبا ذر : كفى بالمرء كذباً أن يتحدث بكل ما يسمع.

يا أبا ذر : ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان.

يا أبا ذر : إن من اجلال اللّه ، اكرام ذي الشَيبَة المسلم ، واكرام حملة القرآن العاملين به ، واكرام السلطان المقسط.

يا أبا ذر : لا تكن عيَّاباً ولا مدّاحاً ولا طعَّاناً ، ولا محاربا.

يا أبا ذر : لا يزال العبد يزداد من اللّه بُعداً ما سِيئ خُلُقُهُ.

يا أبا ذر : الكلمة الطيبة صدقة. وكل خطوة يخطوها الى الصلاة صدقة.

يا أبا ذر : من أجاب داعي اللّه تعالى ، وأحسَنَ عِمارة مساجد اللّه ، كان ثوابه من اللّه الجنة. فقلت : بأبي انت وامي يا رسول اللّه. كيف نعمر مساجد اللّه ؟ قال : لا ـ تُرفع فيها الأصوات ولا يُخاض فيها بالباطل ، ولا يشترى فيها ولا يباع ، واتركِ اللغو ما دمت فيها ، فان لم تفعل فلا تلومنَّ يوم القيامة إلا نفسك.

يا أبا ذر : إن اللّه يعطيك – ما دمت جالساً في المسجد – بكل نَفَس تتنفس فيه درجة في الجنة ، وتصلي عليك الملائكة. ويُكتب لك بكل نفس تتنفس فيه عشر حسنات ، وتُمحى عنك عشر سيئات.

يا أبا ذر : أتعلم في أي شيء أُنزلت هذه الآية : اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ؟ قلت : لا ، فداك أبي وأمي. قال : في انتظار الصلاة خلف الصلاة.

يا أبا ذر : إسباغ الوضوء في المَكَارِه من الكفارات ، وكثرة الإختلاف الى المساجد ، فذلكم الرباط.

يا أبا ذر : يقول اللّه تبارك وتعالى : أن أحبَّ العباد اليّ ، المتحابون بجلال ، المتعلقة قلوبهم بالمساجد ، والمستغفرون بالأسحار ، أولئك اذا

أردتُ بأهل الارض عقوبة ، ذكرتُهم ! فصرفتُ العقوبة عنهم.

يا أبا ذر : كُلّ جلوس في المسجد لَغو إلا ثلاثة ، قراءة مُصلّ ، أو ذكر اللّه ، أو سائل عن علم.

يـا أبا ذر : كن بالعمل بالتقوى ، أشـدَّ منك اهتماما بالعمل لغيره ، فانه لا يقلّ عمل بالتقوى ، وكيف يقلّ ما يُتقبل ، لقول اللّه عز وجل : انما يتقبل اللّه مِنَ المتَّقين.

يـا أبـا ذر : لا يكون الرجل من المتقين ، حتى يحاسِبَ نفسه أشـد مِن محاسـبة الشَّريك فيعلم من أين مطعمه ، ومن أين مشـربه ، ومن أين ملبسه ، أمِن حلّ أم من حرام ؟

يا أبا ذر : من لم يبالِ من أين اكتسب المال ، لم يبالِ اللّه من أين أدخله النار.

يا أبا ذر : أحبُّكم الى اللّه عز وجل ، أكثركم ذكراً له ، وأكرمكم عند اللّه أتقاكم ، وأنجاكم من عذاب اللّه ، أشدّكم خوفاً له.

يا أبا ذر : ان المتقين الذين يتقون اللّه من الشيء الذي لا يُتَّقى منه خوفاً من الدخول في الشبهة.

يا أبا ذر : من أطاع اللّه عز وجل فقد ذكر اللّهَ ، وان قلَّت صلاته وصِيامه ، وتلاوة القرآن.

يا أبا ذر : أصل الدين الورع ، ورأسُهُ الطَّاعة.

يا أبا ذر : كن ورِعاً تكن أعبد الناس ، وخير دينكم الورَعُ.

يا أبا ذر : فضل العِلم خير من فضلِ العِبادةِ ، وإعلم انكم لو صليتم

حتى تكونوا كالحنايا ، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار ، ما نفعكم ذلك إلا بِوَرَع.

يا أبا ذر : ان أهل الورع والزهد في الدنيا ، هم أولياء اللّه حقاً.

يا أبا ذر : من لم يأت يوم القيامة بثلاث ، فقد خَسِر. قلت : وما الثلاث – فداك أبي وأمي يا رسول اللّه – ؟ قال : ورع يحجزه عمَّا حرم اللّه عليه ، وحِلم يَردّ به جَهلَ السفيه ، وخلق يداري به الناس.

يا أبا ذر : إن سرَّك أن تكون أقوى الناس ، فتوكل على اللّه ، وان سرّك أن تكون أكرم الناس فاتق اللّه. وإن سرّك أن تكون أغنى الناس ، فكن بما في يد اللّه عز وجل أوثق منك بما في يدك.

يا أبا ذر : لو أن الناس كلَّهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم : وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا.

يا أبا ذر : يقول اللّه تعالى : لا يؤثر عبدي هواي على هواه إلاّ جَعلتُ غِناه في نفسه وهمومه في آخرته ، وضمِنَت السموات والارض رزقه ، وكففت عليه ضيعته ، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر.

يا أبا ذر : لو أن ابن آدم فرَّ من رزقه كما يفرّ من الموت ، لأدراكه رزقه كما يدركه الموت.

يا أبا ذر : ألا أعلِّمك كلمات ينفعك اللّه عز وجل بهنّ. ؟ قلت : بلى يا رسول اللّه. قال : احفظ اللّه تجده أمامك. تعرَّف الى اللّه تعالى في الرخاء ، يَعرِفك في الشِّدّة ، واذا سألت ، فاسأل اللّه ، واذا استغنيت ، فاستغنِ باللّه ، فقد جرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ، ولو أن الخَلق كلهم جهدوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه اللّه لك ، ما قدِروا عليه ،

فـان اسـتطعت أن تعمـل للهِ تعـالى بالرضا واليقين ، فافعل ، فان لـم تسـتطع فاصبِر ، فانَّ في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وانّ النصـر مع الصبر ، والفرج مع الكرب ، وان مع العسر يسراً.

يا أبا ذر : إستغنِ بغنى اللّه. قلت : وما هو يا رسول اللّه ؟ قال : غداء يوم ، وعشاء ليلة ، فمن قَنَع بما رزقه اللّه – يا أبا ذر – فهو أغنى الناس.

يا أبا ذر : إن اللّه جلّ ثناؤه يقول : إني لست كلام الحكيم أتقبَّل ، ولكن همَّه وهواه ، فان كان همُّه وهواه فيما أحبّ وأرضـى ، جعلت صمته حمداً لي ، ووقارا ، وإن لم يتكلم.

يا أبا ذر : ان اللّه تبارك وتعالى ، لا ينظر الى صوركم ، ولا الى أموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم.

يا أبا ذر : التقوى ههنا ، التقوى ههنا ، وأشار بيده الى صدره.

يا أبا ذر : أربع لا يصـيبهن إلا مؤمن. الصمت ، وهو أول العبادة والتواضع لله سبحانه ، وذِكر اللّه تعالى على كل حال ، وقلة الشيء – يعني قلة المال.

يا أبا ذر : هِمّ بالحسنة وإن لم تعملها لكي لا تكتب من الغافلين.

يـا أبـا ذر : من ملك مابين فخـذيه ، وما بين لحييه ، دخل الجنـة. قلت : يا رسول اللّه فانا لنؤاخـذ بما ننطق من ألسـنتنا ؟ قال : يا أبا ذر وهل يَكبّ الناس على مناخرهم في النار إلا حصاد ألسنتهم ، إنك لا تزال سالماً ما سكتَّ ، فاذا تكلمت يكتب لك أو عليك.

يا أبا ذر : أنّ الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان اللّه تعالى ، فيكتب له بها رضوانه الى يوم القيامة. وان الرجل ليتكلم بالكلمة في

المجلس ليضحكهم بها ، فيهوي في جهنم ما بين السماء والارض.

يا أبا ذر : ويل للذي يتحدث فيكذب ليضحِكَ به القوم ، ويل له. ويل له. ويل له.

يا أبا ذر : مَن صَمتَ نجا. فعليك بالصدق ، ولا تخرجن من فمك كذبة أبداً. فقلت : يا رسول اللّه فما توبة الرجل الذي يكذب متعمداً ، قال : الإستغفار ، وصلوات الخمس يغسل ذلك.

يا أبا ذر : إياك والغِيبَة ، فان الغِيبة أشدّ من الزِنا. قلت : يا رسول اللّه ولمَ ذاك ، بابي أنت وأمي ؟ قال : لأن الرجل يزني ويتوب الى اللّه ، فيتوب اللّه عز وجل عليه ، والغِيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها.

يا أبا ذر : سِباب المسلم فُسوق ، وقِتاله كفر ، وأكل لحمه من معاصي اللّه ، وحرمة ماله كحرمة دمه. قلت : يا رسول اللّه. وما الغيبة ؟ قال : ذِكرك أخاك بما يكره. قلت : يا رسول اللّه فمن كان فيه ذلك الذي ذكرته ؟ قال : إعلم انك اذا ذكرته بما هو فيه ، فقد اغتبته ! وان ذكرته بما ليس فيه ، فقد بهتَّه.

يا أبا ذر : من ذَبَّ عن أخيه المسلم المؤمنِ الغيبة ، كان حقّاً على اللّهِ جل ثناؤه أن يعتقه من النار.

يا أبا ذر : من اغتيب عنده أخوه المسلم ، وهو يستطيع نصره فَنَصره ، نصره اللّه عز وجل في الدنيا والآخرة ، وإن خذله وهو يستطيع نصره ، خذله اللّه في الدنيا والآخرة.

يا أبا ذر : صاحب النميمة لا يستريح من عذاب اللّه عز وجل في الآخرة.

يا أبا ذر : من كان ذا وجهين ولسانيين في الدنيا ، فهو ذو لسانيين في النار.

يا أبا ذر : المجلس بالأمانة ، وإفشاؤك سرَّ أخيك خيانة ، فاجتنب ذلك ، واجتنب مجلس العشيرة.

يا أبا ذر : تَعرض أعمال أهل الـدنيا على اللّه عزَّ وجل من الجمعة الى الجمعة ، وفي كل يوم الاثنين والخميس ، فيغفر لكل عبد مؤمن ، إلا عبداً كانت بينه وبين أخيه شحناء ، فيقول : اتركوا أعمال هذين حتى يصطلحا.

يا أبا ذر : إياك ، وهجران أخيك ، فان العمل لا يُتَقبَّل مع الهجران ، فان كنت لا بـد فاعلا فلا هجرة أكثر من ثلاثـة أيام كملا. فمن مات فيها مهاجراً لأخيه ، كانت النار أولى به.

يا أبا ذر : من أحبَّ أن يَمثلَ له الرجال قياماً ، فليتبوأ مقعده من النار.

يـا أبا ذر : من مات وفي قلبه مثقال ذرة من كبر ، لـم يجـد رائحـة الجنـة إلا أن يتوب قبل ذلك. فقال رجل : يا رسول اللّه ، ليعجبني الجمال حتى وددت أن علاَّقة سوطي ، وقبال نعلي حسن. فهل يرهب ذلك علي ؟ قال : كيف تجد قلبك ؟ قال : أجده عارفاً للحق مطمئنا اليه ، قال : ليس ذلك بالكبر. ولكنَّ الكبر أن تترك الحق وتتجاوز الى غيره ، وتنظر الى الناس ، ولا ترى أن أحداً عرضه كعرضك ولا دمه كدمك.

يـا أبـا ذر : أكثر من يـدخل النـار المتكبِّرون. فقال رجل : وهل ينجو من الكبر أحـد يا رسول اللّه ؟ فقال : نعم ، من لبس الصوف ، وركب الحمار ، وحلب العنز ، وجالس المساكين.

يا أبا ذر : من حمل سلعته ، فقد برئ من الكبر – يعني ما يشتري من السوق.

يا أبا ذر : من جر ثوبه خُيلاء ، لم ينظر اللّه اليه يوم القيامة.

يا أبا ذر : أزِرَّة المؤمن الى أنصاف ساقيه ، ولا جناح فيما بينه وبين كعبيه.

يا أبا ذر : من رقَّع ذيله ، وخصف نعله ، وعفَّر وجهه ، فقد برء من الكبر.

يا أبا ذر : من كان له قميصان ، فليلبس أحدهما ، وليكس أخاه الآخر.

يا أبا ذر : سيكون ناس من أمتي يولدون في النعيم ، ويغذون به ، في همتهم ألوان الطعام والشراب ، ويمدحون بالقول ، أولئك شرار أمتي.

يا أبا ذر : من ترك لِبس الجَمال – وهو يقدر عليه – تواضعاً لله فقد كساه اللّه حُلَّة الكرامة.

يا أبا ذر : طوبى لِمن تواضع لله في غير منقصة ، وأذل نفسه في غير مسكنة ، وانفق مالا جمعه في غير معصية ، ورحم أهل الذلة والمسكنة ، وخالط أهل الفقه والحكمة ، طوبى لمن صَلحت سريرته ، وحسنت علانيته ، وعزَلَ عن الناس شرَّه. طوبى لمن عمل بعلمه ، وأنفق الفضل من ماله ، وأمسك الفضل من قوله.

يا أبا ذر : إلبس الخشن من اللباس ، والعتيق من الثياب ، لئلا يَجِدَ الفخر فيك مسلكا.

يـا أبـا ذر : يكون في آخر الزمـان قوم يلبسون الصوف في صـيفهم وشـتائهم ، يرون الفضـل لهم بـذلك على غيرهم. أولئك تلعنهم ملائكة السموات والأرض.

يا أبا ذر : ألا أخبرك بأهل الجنة ؟ قلت : بلى يا رسول اللّه. قال : كل أشعث أغبر ذي طِمرين لا يؤبه له ، لو أقسم على اللّه لأبَرَّه.

والحمد لله رب العالمين.

ص: 204

مصادر الكتاب

مرتبة على الحروف الهجائية

القرآن الكريم

1 – اعيان الشيعة السيد محسن الامين / تحقيق حسن الامين طبع بيروت

2 – الارشاد الشيخ المفيد بيروت – مؤسسة الاعلمي

3 – الاصابة ابن حجر العسقلاني مصورة عن طبعة 1328 ه

4 – الاستيعاب (على هامش الاصابة) ابن عبد البر مصورة عن طبعة 1328 ه

5 – اصل الشيعة واصولها الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بيروت – دار التعارف

6 – ابوذر الغفاري الشيخ عبد اللّه السبيتي صور – لبنان

7 – تأريخ الامم والملوك محمد بن جرير الطبري نسخة مصورة

8 – تأريخ اليعقوبي أحمد ابن ابي يعقوب دار صادر – دار بيروت

9 – تنبيه الخواطر أبو الحسين ورام المطبعة الحيدرية – النجف

10 – ثورة الحسين الشيخ محمد مهدي شمس الدين بيروت – دار التعارف

11 – جبل عامل في التاريخ الشيخ محمد تقي الفقيه بغداد – دار الساعة

12 – حق اليقين السيد عبد اللّه شبر بيروت – دار الكتاب الاسلامي

13 – حياة الامام الحسن الشيخ باقر القرشي النجف الاداب

14 – حياة الحيوان الكبرى كمال الدين الدميري بيروت – المكتبة الاسلامية

15 – الخصال الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بيروت – دار التعارف

16 – رجال السيد بحر العلوم بحر العلوم السيد محمد مهدي النجف – الآداب

17 – سيرة المصطفى السيد هاشم معروف بيروت – دار القلم

18 – سيرة الائمة الاثنى عشر السيد هاشم معروف بيروت – دار القلم

19 – شرح نهج البلاغة ابن ابي الحديد – تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم مصر

20 – شعر الحرب في العصر الجاهلي الدكتورعلي الجندي بيروت – دار مكتبة الجامعة العربية

ص: 205

21 – الشيعة وفنون الاسلام السيد حسن الصدر بيروت – دار المعرفة

22 – صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري بيروت – دار الفكر

23 – صحيح مسلم ابو الحسين مسلم بن الحجاج بيروت – دار الفكر

24 – الصواعق المحرقة ابن حجر مصر

25 – عثمان ذو النورين عباس محمود العقاد طبع مصر – دار العروبة

26 – عقائد الامامية الشيخ محمد رضا المظفر قم – منشورات القم العربي

27 – الغدير الشيخ عبد الحسين الاميني بيروت – دار الكتاب العربي

28 – فرائد السمطين ابراهيم بن محمد ابن المؤيد الجوني بيروت – مؤسسة المحمودي

29 – الفروع من الكافي محمد بن يعقوب الكليني طهران – دار الكتاب الاسلامية

30 – الكامل في التاريخ عز الدين ابن الاثير بيروت – دار صادر – دار الكتاب

31 – متن اللغة الشيخ احمد رضا بيروت – دار مكتبة الحياة

32 – مجمع البيان أبو علي الغضل – الطبرسي بيروت – دار احياء التراث العربي

33 – مروج الذهب علي بن الحسين المسعودي بيروت – دار الاندلس

34 – معجم البلدان ياقوت بن عبد اللّه الحموي بيروت – دار احياء التراث العربي

35 – معجم رجال الحديث السيد ابو القاسم الخوئي النجف – الاداب

36 – معاني الاخبار الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بيروت – دار التعارف

37 – المستدرك على الصحيحين الحاكم النيشابوري – محمد بن عبد اللّه الرياض – مكتبة ومطابع النصر الحديد

38 – الميزان في تفسير القرآن السيد محمد حسين الطباطبائي بيروت – مؤسسة الاعلمي

39 – نهج البلاغة من كلام مولانا امير المؤمنين علي (عليه السلام) بيروت – الاعلمي

40 – النصائح الكافية محمد بن عقيل بغداد – مكتبة النجاح

41 – الواعظ محمد علي الرباني النجف – مطبعة النعمان

الفهرس

كلمة الناشر... 7

تقديم... 9

مقدمة المؤلف... 13

صُورَة مُجْمَلة... 19

الفَارِسُ الشّجَاع... 27

تعَبُّدهُ قبلَ الإسلاَم... 31

إسلامه... 32

معَ الرَسُول... 38

في غزوة تبوك... 43

التشيُّع ... مَا هُوَ... 44

أبو ذَرّ وَالتّشيُّع... 54

إقامتُه في بِلاَد الشَّام... 65

أبوذرّ وَالتّشيُّع في جَبل عَامِل... 72

حُلمُ الأمويّين... 87

الإمَامَة... 93

في السَّقيفَة... 95

إثَارَة الفِتَن... 97

رقَابَة المُسلِمين... 101

فِقدَان الهيبَة في خِلافَة عُثمان... 104

سيَاسَة عُثمان في إختِيَار الوُلاة... 107

سَياستهُ في المَال... 110

تقريبه لذوي النفوذ... 112

معَارضَة أبي ذرّ... 115

مَوقف أبي ذَرّ مِن مُعاويَة... 121

ودَاع أهل الشّام لَه... 127

تسييره من الشام إلى المدينة إلى الرّبذة... 133

دخوله على عثمان... 136

نفيه الى الربذة... 140

كلام الامام (عليه السلام) له... 140

كلام عقيل... 141

كلام الحسن والحسين(عليهما السلام)وعمار بن ياسر... 142

كلام ابي ذر... 143

بين علي وعثمان... 143

في الرّبذَة... 145

كلامه على قبر ولده... 147

كتابه لحذيفة بن اليمان... 148

جواب حذيفة له... 149

يَمشي وَحْدَهُ وَيمُوتُ وَحْدَه... 151

المَأسَاة... 155

رواية ثانية حول كيفية وفاته... 157

أبوذَرّ عَلى لِسان النّبي الكَريم... 163

بَينَ النّبي وَأبي ذَرّ... 165

أبو ذَرّ العَالِم... 171

الزّاهد المتعبّد... 173

من فضائله... 175

وَصفه لآخر الزمَان... 179

وَصية النّبي (صلى اللّه عليه وآله وسلم) لأبي ذَرّ والمعروفة (بالوصية الطويلة)... 183

مصادر الكتاب... 205

ص: 207

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

جَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

(التوبه : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمية لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجانًا. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والنذور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضًا الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلات:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹